

الأقوال التي أخذها البغدادي عن ابن الراوندي

دكتور

خلف عبد الحكيم خلف حسين الفرجاني

مدرس العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، واختصه بالوجدان، وحذره من إتباع
الهوى والشيطان، والصلاة والسلام على خير ولد عدنان، وعلى آله وصحبه
الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،،

فقلما يتحرر الإنسان من العاطفة التي تقود صاحبها غالباً إلى الخطأ في
بعض الأحكام.

ونحن في هذا البحث نقف أمام إحدى صفحات تراثنا العربي المليئ
بالنفائس والذخائر، وهي صفحات مضيئة كالشمس في وسط النهار، وعليه
فقلما يحجبها الغمام، وإن واراها فهي خلفه في شدة سطوع وازدهار.

ولا ضير أن نقول: إن صفحتنا هذه غلبت عليها عاطفة شديدة قادت
صاحبها إلى تعصب مقيت، أداه إلى تحامل ظاهر، أسلمه إلى عدم الدقة في
اختيار مصدر النقل والرواية.

ولقد كان للأشاعرة والمعتزلة أكبر الأثر في علم الكلام، لتجازبهما
أطراف القضايا الكلامية، مما أثرى تراثنا العربي في هذا المجال، ولم يقف
الأمر بالمعتزلة عند ذلك، بل عمل علماؤهم على نشر فضائلهم، فنجد الجاحظ
يؤلف كتاباً في (فضيلة المعتزلة) يثنى فيه على المعتزلة، ويرد على
المخالفين؛ فيرد عليه ابن الراوندي بكتاب سماه (فضيحة المعتزلة) كذب فيه
على المعتزلة، كما نص على ذلك الخياط الذي رد على ابن الراوندي بكتاب

سماء (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد) وقد كذبه في أكثر ما جاء به، ونسبه إليهم من مذاهب وآراء أو أعلام.

ثم جاء الإمام البغدادي أحد أعلام الأشاعرة فنقل عن ابن الراوندي بعض أقواله ونسبها للمعتزلة، وهو يتحدث عنهم في كتابه (الفرق بين الفرق). وقد كانت إشارة الدكتور نيبرج محقق كتاب (الانتصار) إلى ما فعله البغدادي هي الدافع لي لإعداد هذا البحث، حيث قمت فيه - بعون الله وتوفيقه - بجمع النصوص وترتيبها ومقارنتها.

فلوردت ما نسبته البغدادي إلى المعتزلة بنصه، واتبعته بنص كلام ابن الراوندي - كما رواه الخياط - وذيلته بتعليق الخياط عليه موجزاً وذلك لتسهيل المقارنة على القارئ، ويتيسر له الحكم بتشابه النصوص أو تطابقها أو اختلافها، وقدمت بين يدي ذلك دراسة لهذه الكتب ولتأليفها، ولإمام البغدادي، وأثره فيمن جاء بعده. وجاء البحث بعد هذه المقدمة في ثلاثة مباحث تعقبها الخاتمة:

المبحث الأول : الإمام البغدادي وأثره.

المبحث الثاني : إطلاع البغدادي على كتب ابن الراوندي والخياط.

المبحث الثالث : النصوص المأخوذة عن ابن الراوندي.

وقمت بترتيب أعلام الاعتزال على حسب طبقاتهم كترتيب القاضي لهم في كتاب (طبقات المعتزلة)، وأردفت كل واحد منهم بما نسب إليه من أقوال، وحاولت وضع عنوان لكل مسألة يتناسب مع مضمونها، فإن أعجزني ذلك وضعت سؤالاً يشير إلى مضمونها بوجه ما، وإنما جاء عجزني من قول ابن الراوندي، وتكذيب الخياط له، فلم أدر أيهما أقدم فتساعلت معهما عن المراد.

ولم يكن تتبع النصوص وجمعها وترتيبها ومقارنتها قبل تدوينها سهلاً كما قد يظن من يطالع العمل بعد تمامه - بحمد الله وعونه - بل لقيت في ذلك جهداً، ولم أدر جُهداً في سبيل إتمامه بصورة مرضية، وإنني لأرجو الله

تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن لا يحرمني
أجره في الدنيا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.
وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى سائر
المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الإمام البغدادي وأثره

أولاً: التعريف بالإمام البغدادي

ثانياً: تحامل البغدادي على المعتزلة.

ثالثاً: أثر البغدادي فمن جاء بعده.

- بين البغدادي والإسفرائيني
- بين البغدادي والشهرستاني
- بين البغدادي وابن حزم الأندلسي
- بين البغدادي والفخر الرازي

المبحث الأول: الإمام البغدادي وأثره:

أولاً: التعريف بالإمام البغدادي

يعتبر الإمام البغدادي أحد أعلام الأشاعرة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وكان سيفاً على المخالفين، تولى نصرته مذهب أهل السنة وحمل على مخالفهم. فلا بد من التعريف به^(١).

اسمه: عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، وكنيته: أبو منصور، وينسب إلى بغداد فيقال: البغدادي، وإلى إسفرين فيقال: الإسفرائيني، ويلقب بالأستاذ أحياناً.

أساتذته وتلاميذه: كان البغدادي من أكبر تلاميذ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائيني، وسمع وروي الحديث عن كثير، وروي عنه البيهقي، والقشيري، وقرأ عليه ناصر المروزي، وأبو القاسم القشيري وغيرهم.

(١) انظر ترجمة البغدادي في: الوافي بالوفيات ٤٥/١٩، وفیات الأعيان ٢٠٣/٣، عيون التواريخ ١٠٥/١٢، مرآة الجنان ٥٢/٣، طبقات الأسنوي ١٩٤/١ : ١٩٦، طبقات السبكي ١٣٦/٥، سير النبلاء ٥٧٢/١٧، تبیین کذب المفتری ٢٥٣، أنباء الرواة ١٨٥/٢، وفوات الوفيات ٧٠٢/١.

أما عن حياته العلمية: فيروى أنه قدم نيسابور مع أبيه أبي عبد الله طاهر، وكان قد درس في سبعة عشر نوعاً من العلوم، وصنف فيها وأربى على أقرانه، ودرس على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، وأقعه بعده للإملاء مكانه، وأملى عدة سنين، واختلف عليه الأئمة وقرأوا عليه، فهو الأستاذ الإمام الكامل ذو الفنون، الفقيه الأصولي، الأديب الشاعر النحوي الماهر في علم الحساب العارف بالعروض، وصنف في النظر والجدل والكلام.

يقال: كان أبوه صاحب مال وثروة ومروءة، فأنفقه على أهل العلم حتى افتقر. وقد ظل مقيماً بنيسابور حتى اضطر إلى فراقها لما وقعت بها فتنة التركمان، وخرج إلى اسفرين، ابتهج أهلها بمقدمة إلى حد لا يوصف ولم يبق بها كثيراً حتى وافته المنية هناك^(٢).

أما عن ثناء العلماء عليه فقد أثنى عليه كثير من العلماء من ذلك ما قيل عنه: إنه كان يدرس في سبعة عشر فناً، ويضرب به المثل، وكان رئيساً محتشماً، وكان من أئمة الأصول وصدور الإسلام بجماع أهل العلم، كان بديع الترتيب وغريب التأليف، إماماً مقدماً مفخماً^(٣).

وقيل عنه: إنه اشتهر اسمه وبعد صيته، وحمل عنه العلم أكثر أهل خراسان، وكان كشيخه أبي إسحاق في نصره طريقة الفقهاء الشافعية في أصول الفقه في الأغلب.

وقيل عنه أيضاً: إنه كان يسير في الرد على المخالفين سير الآجال في الآمال، وكان علامة العالم في الحساب والكلام^(٤).

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب علي عبد الكافي السبكي ت ٧٧١ هـ تحقيق د/ محمد محمود الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلوح ١٣٦/٥، ١٣٧، ١٣٨ ترجمة رقم (٤٦٧) ط (١) ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م.

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ ح ١٧ ص ٥٧٢ رقم (٣٧٧) تحقيق شعيب الأرنؤطي مؤسسة الرسالة ط (١) ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م.

(٤) طبقات الشافعية ١٣٦/٥.

فهذا الكلام يشير إلى قوته في الحق، وشدته في الرد على المخالفين حتى يبطل أقوالهم ويهدم مذاهبهم، وأنه كان متأثراً بشيخه سائراً على طريقته.
* مؤلفاته:

كان للإمام البغدادي مؤلفات كثيرة في شتى أنواع العلوم، وقد ذكرها صاحب طبقات الشافعية^(٥) فقال: ومن تصانيفه: كتاب التفسير، والفرق بين الفرق، والتحصيل في أصول الفقه، وتفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر، وفضائح الكرامية، وتأويل متشابه الأخبار، وكتاب الملل والنحل، وهو مختصر ليس في هذا النوع مثله، ونفى خلق القرآن، والصفات، والإيمان وأصوله، وبلوغ المدى عن أصول الهدى، وإبطال القول بالتولد، والعماد في موارد العباد. ليس في الفرائض والحساب له نظير، وكتاب التكملة في الحساب، وكتاب شرح مفتاح بن القاص، وكتاب نقض ما عمله أبو عبد الله الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة، وكتاب أحكام الوطئ التام وهو المعروف بالتقاء الختانيين في أربعة أجزاء، وقال ابن الصلاح: رأيت له كتاباً في معنى لفظتي (التصوف والصوفي) جمع فيه من أقوال الصوفية ألف قول، مرتبة على حروف المعجم، وجميع تصانيفه بالغة في الحسن أقصى الغايات".
ونذكر صاحب فوات الوفيات له كتاب (الفاخر في الأوائل والأواخر)^(٦).

وقد أشار البغدادي نفسه إلى بعض مؤلفاته في كتابيه (الفرق بين الفرق، وأصول الدين)^(٧) منها:

(٥) للطبقات ١٤٠/٥.

(٦) فوات الوفيات تأليف محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن للكتبي ت ٧٦٤هـ تحقيق علي محمد

معوض، عادل أحمد عبد الموجود ح ٧٠٢/١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط (١) ١٤٢١ هـ

٢٠٠٠م.

- ١-كتاب فضائح القدرية. ذكره في الفرق (ص ١١٠).
- ٢-كتاب الملل والنحل. ذكره في الفرق (ص ٦٥)، وقد ذكرهما السبكي.
- ٣-كتاب الإيمان. ذكره في أصول الدين (ص ٢٥١).
- ٤-كتاب الحرب على ابن حرب ذكره في الفرق (ص ١٠٢).
- ٥-دلائل النبوة. ذكره في أصول الدين (ص ١٥٨).
- ٦-كتاب فروع المعاملات وشروطها. ذكره في أصول الدين (ص ١٩٥).
- ٧-كتاب الموازنة بين الأنبياء. ذكره في أصول الدين (ص ١٨٠).
- ٨-كتاب هيئة العالم. ذكره في أصول الدين (ص ٦٥).

هذا ما تحصل لدينا من مؤلفاته، وجدير بالذكر أن أغلبها مفقود، ولم يصل إلينا إلا بضع كتب منها، وعلى أي حال فهذه المؤلفات الكثيرة تدل على سعة علمه وتبحره في شتى فنون العلوم العربية والإسلامية، حتى ألف في الحساب كتاب (التكملة).

* شعره:

الباحث في سيرة الإمام البغدادي يجد له شعراً قوياً، لأنه كان يحمل عاطفة قوية، وهي عاطفة يغلب عليها الطابع الديني؛ وذلك لأننا عندما تأملنا ما وصلنا من شعره وجدناه يخدم غرضه العام، فهو يحمل طابع الوعظ، والتذكير بالآخرة، والحث على التوبة قبل الموت.

ونجد شعره أحياناً يحمل طابع التحامل على المخالفين، والرد عليهم، وتفنيد مزاعمهم، ومن ذلك ما ذكره في كتاب (الفرق بين الفرق) حيث نجد البغدادي يذكر بعض أشعاره في عدة مواضع منه فله سبعة أبيات ص ٢٨، وسبعة ص ٢٩، وخمس ص ٤٤، وثلاثة أبيات ص ٥٥، ٥٦، وبيت واحد

(٧) الفرق بين الفرق بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة بدون، و(أصول الدين) نشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط (٣) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م. مصورة عن ط (١) استانبول

ص ٧٢، أعقبه بقوله: وسنذكر تمام أبيات هذه القصيدة بعد هذا إن شاء الله عز وجل، وقد بحثت عنها في كتابه هذا فلم أجدها، وهذا دليل على أن له قصائد تامة، وثلاثة أبيات ص ١٨٠، وعليه فجملة ما كره من أشعاره في الفرق يبلغ ستاً وعشرين بيتاً فقط، وكلها تدور حول الرد على شعراء الفرق الأخرى وتخدم غرضه، ولا تخلو من تحامل على المخالفين، وألفاظه شديدة الوقع، وقد يعرض بعض آرائه ومذهبه ومن ذلك:

قوله: ولاية الحق أربعة ولكن: .
 وقوله: أبو بكر لنا حقاً إماماً: .
 وقوله: لقد أفنيت عمرك بانتظار: .
 ولو خلد امرؤ لعلر مجدد: .
 وقوله: يا أيها الرافضة المبطلة: .
 إمامكم إن غاب في ظلمة: .
 لكن إمام الحق في قولنا: .
 وقوله في ابن ملجم:

إني لألغنه ديناً وألعن من: .
 وأنت عدى عدى عدى: .
 وهم تركوك أشقى من ثمود: .
 وفي نار الجحيم غداً ستصلي: .
 ومن شعره الذي حمل لونا بديعياً هو (الاقتباس) ويحدث على التوبة قوله:

يا من عدى ثم اعتدي ثم اعترف: . ثم انتهى ثم اعترف
 أبشر بقول الله في آياته: . إن ينتهوا ينتهيهم ما قد سلف^(٨)

(٨) الطبقات ١٣٩/٥، وانظر ص ١٤٢، ١٤٣.

وقال في التذكير بالموت:

شبابي وشيبي دليلاً رحيلي:.. فسمعاً لذاك وذا من دليل
وقد مات من كان لي من عدل:.. وحسبي دليلاً رحيل العدل^(٩)
وهذا الشعر منه دليل على علمه بالعربية وفنونها، بيد أنه شعر موجه
يخدم عرضه ومراده.
* وفاته:

أما عن وفاته فقد عمر الشيخ طويلاً، ومات بعدما شاخ بإسفرايين بعدما
دخلها ولم يطل مقامه فيها (سنة تسع وعشرين وأربعمائة) من الهجرة
(٤٢٩هـ) واتفق أهل العلم على دفنه إلى جانب أستاذه أبي إسحاق
الإسفراييني، وقبراهما متجاوران تجاوز تلاصق - رحمهما الله تعالى^(١٠)، وقد
أعدت د/ منى إبراهيم بحثاً مستقلاً تناولت فيه حياة البغدادي وآراءه^(١١).

ثانياً: تحامل البغدادي على المعتزلة

عندما نتساءل عن موقف البغدادي من المعتزلة، فإننا نجد كلامه عن
المعتزلة يدل على تحامل شديد، وتعصب مقيت ضد المعتزلة، وعباراته تدل

(٩) فوات الوفيات ٧٠١/١.

(١٠) الطبقات ١٣٨/٥، سير النبلاء ٥٧٣/١٧.

(١١) وعندما تحدثت عن مؤلفاته ذكرت أنها وجدت له الكثير من المؤلفات غير ما ذكره المؤرخون له،
وتغلب الظن بأنها مفقودة، وأشارت إلى أن المطبوع منها ثلاث فقط هي: (الفرق، والأصول، والممل
والنحل)، والثالث مطبوع بتحقيق د/ البير نصري نادر نشر دار المشرق بيروت لبنان . ط ١٩٧٠م
وأن له نسختين مخطوطين: واحدة باستامبول، والثانية بمكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٦٨١٩). وتشير
أيضاً إلى أن معظم كتاب (الفرق) قد ترجم إلى الإنجليزية بقلم (مستر سيلبي) والخلاصة أنها ذكرت
له نحو تسع وعشرين مؤلفاً أكثرها مفقود، وبعضها مخطوط، والمطبوع منها ثلاثة فقط. انظر أبو
منصور البغدادي حياته وآراءه للكلاية د/ منى إبراهيم إسماعيل أبو شادي ص ٥٠: ٧١ ماجستير.
بمكتبة كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة. جامعة الأزهر رقم (٣١٢) سنة
١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

على أنه متحامل أشد ما يكون التحامل، بل تدل على كراهيته لهم كراهية ظاهرة.

والبغدادى لا يرفع عن شتمهم بعبارات صريحة وألفاظ ثمجة، بل لا يتورع عن رميهم حتى بما نهى الإسلام عنه وحرمه، ولم يسلم من ذلك أحد من أعلام المعتزلة الذين تقدموا البغدادى. ويمكن إجمال ما رماهم به فيما يلي:

١- يرمى بعضهم برغبته في رفع الشريعة وإبطال التكاليف.
٢- ينفي عن بعضهم الإنسانية، ويستبيح دماء بعضهم بل يرى في ذلك قربى وزلفى إلى الله تعالى.

٣- يرميهم بالتكفير، ويقرر أن كل واحد منهم محق في تكفير صاحبه.
٤- يلزمهم إلزامات يصرح فيها بعبارات قبيحة تغزهم في نسبهم. ويدعو على بعضهم بالخزى.

٥- ونجده أيضاً يتهكم بهم فيعد منهم من يأوى إلى جنة الحيات، والعقارب في الآخرة، أو أنهم يستلهمون من شياطينهم، وفيهم من هو كراهب النصارى.
* وهذه بعض عبارات البغدادى الدالة على تحامله على المعتزلة وشتمه لهم

يصرح البغدادى: باتهام بعض المعتزلة بالرغبة في إسقاط التكاليف فيقول عن النظام: "وأعجب بقول البراهمة بأبطال النبوات، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفاً من السيف فأنكر إعجاز القرآن.. ثم استنقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها، ولم يجسر على إظهار رفعها فأبطل الطرق الدالة عليها فأنكر لذلك حجة الإجماع وحجة القياس في الفروع الشرعية"^(١٢).

ويقول عن معمر: "وإذا لم يكن كلامه تعالى عنده من فعله ولا صفة قائمة به، لنفيه الصفات، لم يكن له تعالى كلام أصلاً، وفيه أبطال الأمر والنهي منه،

(١٢) الفرق ص ٧٩، ٨٠.

وفي ذلك أبطال أحكام الشريعة، وما أضمر غيره؟ لأنه قال بما يؤدي إليه^(١٣). ويقول عنه أيضاً: "وإذا كشفنا عن ضمير معمر في هذا الباب ظهر لنا أن غرضه إبطال الشريعة وأحكامها.... وفي هذا سقوط التكليف عن العباد، وما أراد هذا المبتدع غيره"^(١٤).

وقال عن ثمانية أيضاً: "المعروف منهم بثمانية في قوله إن المتولدات أفعال لا فاعل لها، وما أراد إلا إسقاط التكليف"^(١٥).

ويجاوز الأمر حدة فنجدّه يشير إلى قتلهم، فيقول عن هشام الفوطي: "ومن فضائحه: إنكاره افتضاض الأبرار في الجنة، ومن أنكر ذلك يحرم ذلك، بل يحرم عليه دخول الجنة... فماذا على أهل السنة إذا قالوا في هذا الفوطي وأتباعه: إن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين، وفيه الخمس، وليس على قاتل الواحد منهم قود ولا دية ولا كفارة، بل لقاتله عند الله تعالى القربى والزلفى والحمد لله على ذلك"^(١٦).

ويقول عن الجاحظ: "ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنساناً فضلاً عن أن ينسبوا إليه إحساناً"^(١٧).

والبغدادي هنا يتمنى أن يسلب عنه الإنسانية، ونجدّه أيضاً يدعو عليه بدخول النار فيقول تعقيباً على ما زعمه الجاحظ من أن النار تجذب أهلها إليها: "وهذا القول يوجب انقطاع الرغبة إلى الله تعالى في الإنقاذ منها. لا أنقذ: الله منها من قال بذلك"^(١٨).

(١٣) أصول الدين ص ٨٤، ٨٥.

(١٤) أصول الدين ص ١٧٧.

(١٥) السابق ص ١٧٧.

(١٦) للفرق ص ٩٩.

(١٧) للفرق ص ١٠٥.

(١٨) أصول الدين ص ٢٣٩.

وكذلك لا يتورع البغدادي عن الرمي بالتكفير أو الإيحاء إليه فنجده يقول عن بشر بن المعتمر: "وقال أخوانه من القدرية بتكفيره.. والمكفرون له هم الكفرة، نحن نكفر بشراً في أمور سواها"^(١٩). ويقول أيضاً: "وما للصحابة عند هذا الملحد الفرّي ذنب غير أنهم كانوا موحدين لا يقولون بكفر القدرية"^(٢٠) وقول أيضاً: "تعالى الله عن أقوال هؤلاء الكفرة علواً كبيراً"^(٢١).

ويبلغ الغيظ مداه والكره حده عندما نجده يقول عن بعضهم ما يلي: "وفي هذا إقرار منه على نفسه بأنه ولد زني، لأنه كان من الموالى وكان أمه مسبيه، ووطئ من لا يجوز سببها على حكم السبي الحرام زناً، والمولود منه ولد زناً، فبدعه ثمامة على هذا التقدير لاثقة بنسبه"^(٢٢).

ويقول متحدثاً عن النظام: "ويلزمه على هذا الأصل أن لا يغضب على من شتمه ولعنه، لأن قول القائل لعن الله النظام - عند النظام - مثل قوله رحمة الله، وقوله: إنه ولد زني كقوله: إنه ولد حلال، فإن رضي لنفسه بمثل هذا المذهب فهو أهل له ولما يلزم عنه"^(٢٣) ويقول أيضاً: "والطاعن فيهم مطعون في دينه ونسبه"^(٢٤).

ومهما يكن من شيء فقد كان الأولى بهذا الإمام الإمساك عن هذا الإلزام بمثل هذا الكلام.

(١٩) الفرق ص ٩٤.

(٢٠) الفرق ص ٩٠ وانظر ص ٨٠، ١٠٠، ١٠١، ١١٠.

(٢١) أصول الدين ص ٩٤.

(٢٢) الفرق ١٠٤.

(٢٣) الفرق ص ٨٤.

(٢٤) الفرق ص ٩٤.

ونجده يقول عن المردار: "وكان يقال له راهب المعتزلة، وهذا اللقب لائق به إن كان المراد به مأخوذاً من رهبانية النصارى"^(٢٥). ونجده يقول: "كفاه بذلك، خزيًا"^(٢٦).

ونجده يتهمهم بهم فيقول: "وقد رضينا له أن يكون في الجنة التي يأوى إليها الكلاب والخنازير والحيات والعقارب والحشرات مع قتله لها في الدنيا"^(٢٧). ويقول أيضاً: "وينبغي للنظام أن لا يغضب على من قال له حشرك الله مع الكلاب والخنازير والحيات والعقارب، ونحن ندعو له بهذا الدعاء"^(٢٨).

ويقول متهمًا: "وهل أخذه من لغة العرب أو العجم أو من لغة شيطانه الذي أغواه وإلى الضلالة دعاه"^(٢٩)، ونجده يسمي كتابه (الحرب على ابن حرب) كما صرح به^(٣٠).

وفي النهاية نقول لعل هذه النصوص تبين لنا مدى تحامل البغدادي على المعتزلة حتى إنه يمكن القول: بأنه لابد من التحفظ في قبول مروياته عنهم والشك في مدى صدقها. هذا إن لم نقل بردها كلها عنهم لما يحمله من عصبية شديدة.

ثالثاً: أثر البغدادي فيمن بعده

كان للبغدادي أثره الكبير فيمن جاء بعده من مؤرخي الفرق الإسلامية، وذلك تبعاً لما جاء في كتابه الفرق بين الفرق، ومن جاء بعده متأثراً به:

١- ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل).

(٢٥) الفرق ص ١٠٠.

(٢٦) الفرق ص ٩٤ وأصول الدين ص ٢٨٧.

(٢٧) أصول الدين ص ٢٣٦.

(٢٨) الفرق ص ٨٨.

(٢٩) أصول الدين ص ٩٦.

(٣٠) الفرق ص ١٠٢.

- ٢- أبو المظفر الإسفرائيني (٤٧١هـ) في كتابه (التبصير في الدين).
- ٣- أبو الفتح الشهرستاني (٥٤٨هـ) في كتابه (الملل والنحل).
- ٤- فخر الدين الزاري (٦٠٦هـ) في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين).

وهؤلاء الأربعة هم مؤرخوا الفرق الإسلامي في تراثنا العربي، ومن جاء بعدهم تأثر بهم، على اختلافهم في التأثر بالبغادي قوة وضعفاً وقلة وكثرة، فأكثرهم وأقواهم تأثراً الإسفرائيني، وأقلهم الرازي، وسنبدأ بأكثرهم متدرجا إلى الأقل تأثراً.

١- بين البغادي والإسفرائيني:

كان الإسفرائيني معجباً بالبغادي إلى أبعد الحدود، وأثنى عليه وعلى كتاب الملل والنحل، فقد ذكره في معرض الحديث عن مفاخر أهل الإسلام وبيان فضائلهم، وبالع في مدحه فاعتبره مفخرة أهل السنة بحيث لو لم يكن لهم مؤلف غيره لكفاهم فخراً حيث يقول: "لو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم، إلا من كان فرد زمانه، وواحد أقرانه في معارفه وعلوسه، وكثرة الغرر من تصانيفه، وهو الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغادي التميمي قدس الله روحه، وما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف، ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) في أصول الدين" (٣١).

فقد كان معجباً به وبمؤلفاته في تاريخ الفرق، ودفعه ذلك إلى النقل عنه حتى إنه يمكننا القول: بأن الإسفرائيني لخص كتاب (الفرق بين الفرق) في

(٣١) التبصير في أصول الدين لأبي المظفر الإسفرائيني ص ١٢٠ تحقيق محمد زاهد الكوثري مطبعة الأنوار المحمدية د. (١) ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م، وكتاب الملل والنحل أشار إليه البغادي في كتاب الفرق (ص ٦٥).

كتابه (التبصير) والدليل على ذلك أن الناظر في الكتابين يدرك مدى التشابه بينهما بأقل جهد وأدنى ملاحظة.

ولو قارنت بينهما لوجدت الإسفرايني يسير على نفس الترتيب بل يستخدم نفس العبارات، فهو يعبر بلفظ (فضائح) كالبغدادى وقد يذكرها أربع مرات في صفحة واحدة، ويتمثل بالشعر الذي تمثل به البغدادى، ونستطيع أن نقارن بين الصفحات الآتية في الكتابين كمثال فقط، وليس للحصر:

الفرق	ص ٧٠ ، ٧١	٧٣	٧٩	٩١	٩٤	١٠٠
التبصير	ص ٤٠ ، ٤١	٤٢	٤٣	٤٤ ، ٤٥	٤٥	٤٧

وسأكتفي بذكر نص واحد فقط من الكتابين رغبة في الإيجاز.

يقول البغدادى: "ذكر الأسوارية منهم: وهم أتباع على الأسوارى، وكان من أتباع أبي الهذيل، ثم انتقل إلى مذهب النظام، وزاد عليه في الضلالة بأن قال: إن ما علم الله أن لا يكون، لم يكن مقدوراً لله تعالى، وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله متناهية، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهية، والقول به كفر من قائله" (٣٢).

وقال الإسفرايني: "الفرقة الخامسة منهم: الأسوارية وهم أتباع على الأسوارى، وكان من أتباع النظام موافقاً له في جميع ما ذكرناه من فضائحه وضلالاته، وزاد عليه بأن قال: إن ما علم الله تعالى أن لا يكون، لم يكن مقدوراً لله تعالى، وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله تعالى متناهية، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهية، والقول به كفر من قائله" (٣٣). وكثير من نصوص الكتابين على هذا النحو من التشابه.

(٣٢) الفرق ص ٩١.

(٣٣) التبصير ص ٤٤ ، ٤٥.

ولعلك تدرك الآن أن الإسفرائني ينقل بالنص عن البغدادي دون تعليق ولا

تمحيص.

٢- بين البغدادي والشهرستاني:

كان الشهرستاني شديد التأثر بالبغدادي، فسنجده أيضاً كثير النقل عنه كالإسفرائني، ولا يستبعد أن يكون الشهرستاني نقل منهما معاً، فهو على كل وجه متأثر بالبغدادي سواء كان ذلك التأثر مباشر بنقله عن (البغدادي) أو غير مباشر بنقله عن (الإسفرائني) فضلاً عن القول بأن (التبصير) نسخة مختصرة (للفرق).

* وإليك مثال يدل على التشابه بين (البغدادي والشهرستاني).

يذكر البغدادي موقف (واصل وعمرو) من أصحاب صفين والجمال بقوله: "وقد شارك عمرو واصل في بدعه القدر... وفي ردهما شهادة رجلين: أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب علي، وزاد عمرو على واصل في هذه البدعة فقال بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل، وذلك أن واصل إنما رد شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل، والآخر من أصحاب علي عليه السلام وقبل شهادة رجلين كلاهما من أحد الفريقين، وزعم عمرو أن شهادتهما مردودة وإن كانا من فريق واحد، لأنه قال بفسق الفريقين جميعاً" (٣٤). والفرق بينهما: إن واصل قال أحد الفريقين فاسق والآخر محق دون تعيين لهما، أما عمرو فإنه قال بفسق الفريقين معاً.

ويقول الشهرستاني: "وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد .. وقوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين: إن أحدهما مخطئ لا بعينه، وكذلك قوله في عثمان وقائليه وخانلييه... ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه،

(٣٤) الفرق ص ٧٢، وانظر أصول الدين ص ٢٨٨، وانظر الانتصار للخياط ص ١٠٨.

وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لا بعينه بأن قال: لو شهد رجلان من أحد الفريقين.. لم تقبل شهادتهما. (٣٥)

وهكذا نجد عند الشهرستاني الكثير من ذلك، بل قد نجد تشابهاً بين الكتب الثلاثة ويمكنك المقارنة بينها فيما يأتي:

الفرق ص	٧٣	١٠٠	٩١	٩٦	١٠١	١٠٣	١٠٦
التبصير ص	٤١	٤٧	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٧، ٤٦
الملل والنحل ص	٣٨	٥٤	٥٢	٥٧	٤٦	٥٦	٥٧

وقد ينفرد (الملل والنحل مع التبصير) بنصوص ليست في الفرق من ذلك ما ذكر في حديثهما عن الهشامية^(٣٦) وهذا دليل على الأثر المتبادل بينهم.

٣- بين البغدادي وابن حزم.

تأثر الأندلسي بالبغدادي بيد أنه كان أقل تأثراً من سابقه، ولعل بعد الشقة بينهما هو السبب في ذلك، غير أن ابن حزم كان شديداً على المعتزلة كالبغدادي، فهو يصرح برميهم بالكفر جملة وتفصيلاً.

فيقول عنهم: "فأعجبوا لتلاعب إيليس بهذه الفرقة الملعونة"^(٣٧). ويقول: "وأما حماقاتهم"^(٣٨) ويقول: "رأيت لهذا الكافر أبي هاشم.."^(٣٩) ويقول: "وهذا كفر ما سمع قط بأفطع منه"^(٤٠) ويقول: "وكان من تمام هذا الكفر أن يقول"^(٤١)

(٣٥) الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق صديق جميل العطار ص ٣٨

بتصرف دار الفكر بيروت ط (١) ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، وانظر تفصيل ذلك في كتاب عمرو بن عبيد

وأراؤه الكلامية د/ محمد صالح محمد السيد ص ١٧٤ : ١٧٩ مكتبة نهضة الشرق بجامعة القاهرة.

(٣٦) انظر الملل والنحل ص ٥٧ والتبصير ص ٤٦.

(٣٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي ح ٣٨/٣: تحقيق أحمد شمس الدين دار الكتب

العلمية بيروت، لبنان، ط (٢) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣٨) السابق ١٣٩/٣.

(٣٩) السابق ١٣٨/٣.

(٤٠) السابق ١٣٤/٣.

فضلاً عن أنه بدأ الحديث عنهم بعنوان (نكر شنع المعتزلة) فقد التقى مع البغدادي في هذا الجانب.

وكذلك لانعدام تشابها في النقل ومن ذلك حديثهما عن أبي الهذيل العلاف إذ يقول البغدادي: "قمن فضائح أبي الهذيل قوله: بفناء مقدورات الله عزوجل - حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء، ولاجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان، ويبقى حينئذ أهل الجنة والنار خامدين لا يقدران على شيء" (٤٢).

ويقول الأندلسي: "وقال أبو الهذيل.... إن لما يقدر الله تعالى عليه" آخرأ، ولقدرته نهاية... وزعم أبو الهذيل أيضاً: أن أهل الجنة وأهل النار تفني حركاتهم، حتى يصيروا جماداً لا يقدران على تحريك شيء من أعضائهم" (٤٣). ويمكنك للمقارنة بين نصوص الشيخين فيما يأتي:

الفرق ص	٨٠، ٨١، ٩١	٩٥	٩٦	١٠٣	٩١	٧٣
	١١٩					
الفصل ص	١٢٩	١٣٠	١٣٣	١٣٢	١٣٢	١٢٨، ١٢٩

ومراجعة هذه الصفحات تدل على مدى التشابه بينهما (٤٤).

(٤١) السابق ١٣٩/٣

(٤٢) الفرق ص ٧٣.

(٤٣) للفصل ١٢٩، ١٢٨/٣.

(٤٤) أشرت إلى بعد الشقة بينهما، لذا قد يقال: كيف يحدث تأثير مع بعد المسافة بينهما؟ ونقول: لا يستبعد التأثير بينهما، وذلك أن للبغدادي في هذا المجال ثلاثة كتب وهي: (فضيحة المعتزلة، الملل والنحل، والفرق بين الفرق)، ومن الغالب أن يكون وصل شيء منها إلى الأندلس - إن لم تصل كلها - ومن الممكن أن يكون ابن حزم قد اطلع عليها أو على تنق منها - على الأقل - وتشابه بعض النصوص يرجح ذلك ويقويه، فلاشك في وجود نوع من التأثير بالبغدادي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٤ - بين البغدادي والرازي:

كان الفخر الرازي أقلهم تأثراً بالبغدادي، بل يكاد التأثر ينعدم ولولا بعض النصوص المتشابهة، والرغبة في تكميم الفائدة لأهملت ذكره، ولغلبة الظن إننا لن نعدم فائدة من ذكره هنا.

ولعل السبب في ندرة التأثر بينهما يرجع لأمرين هما:

١- الإيجاز الذي اتبعه الرازي في مؤلفه هذا (الاعتقادات).

٢- الحس النقدي لدى الرازي، فنجد أنه لم يكن كالإسفرائيني في إطراء البغدادي وطول الثناء عليه وعلى ما كتبه في تاريخ الفرق.

بل تميز الفخر الرازي بنقد البغدادي بخاصة في كتابه (الفرق بين الفرق) وأشار إلى تحامله على المعتزلة، وقد نقل د/ عبد الله شحاته لنا نصاً جاء فيه "يقول الدكتور محمد يوسف موسى: نعتقد أن أولى الباحث المنصف أن يتشدد في قبول كلام الخصم عن خصمه، وفي نسبه ما ينسبه إليه، وبخاصة كتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي وكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وهما من أهم المراجع في المذاهب الإسلامية. وصاحب الأول كما يذكر الإمام فخر الدين الرازي كان شديد التعصب على المخالفين، ولا يكاد يحكي مذاهبهم على وجوهها، وعنه أحد الشهرستاني مذاهب الفرق الإسلامية^(٤٥). ولتأثر الشهرستاني به أيضاً، ورغم ذلك فإنك تجد محقق كتاب الرازي (طه سعد) قد أفرغ فيه كتاب الفرق للبغدادي في الحاشية، ونقل عن الملل والنحل أيضاً الكثير.

(٤٥) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) دراسة وتحقيق د/ عبد الله محمود شحاته ص ٥١، ٥٢ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ط (٢) ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، وهو ينقل عن دائرة المعارف الإسلامية ج ٦/ ٣١٠، ومناظرات الرازي طبع الهند سنة ١٣١٥هـ (ص ٢٥).

لكن قد يقال: إذا كان الرازي قد نقد البغدادي فأبي تأثر بينهما؟! وأقول: إن أقل ما يمكن قوله إن هناك نوعاً من التأثير لا يمكن نفيه مهما خفت ضوؤه، حتى لو كان في التقسيم والتبويب فضلاً عن بعض النصوص رغم إيجاز الرازي الشديد، وهذه نصوص تدل على ذلك قال الرازي:

١- العمرية ومن قولهم: إن شهادة طلحة والزبير غير مقبولة.

٢- "الهذلية: ومن مذهبهم إن خالقية الله قد انتهت إلى حد".

٣- "الهاشمية: إتباع هشام بن عمرو الفوطي وقد كان يمنع من قول حسبنا الله ونعم الوكيل، لأنه لا يجوز إطلاق اسم الوكيل على الله تعالى".

٤- "الجلحية: ومن قولهم إن المعارف ضرورية".

٥- "الخياطية: وهم يقولون: إن الجسم في العدم جسم حتى أنهم ألزموا أن يكون ركباً فرساً معدوماً، فالتزموا ذلك وجوزوه" (٤٦).

وبهذا ينتهي الحديث عن أثر البغدادي فيمن جاء بعده من مؤرخي

الفرق الإسلامية.

(٤٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مصطفى الهولوي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ص (٣١، ٣٢، ٣٨، ٤٢) وقارن بينها وبين الفرق البغدادي فستجد هذه النصوص.

المبحث الثاني

إطلاع البغدادي على كتب ابن الراوندي والخياط

أولاً: التعريف بكتاب الفضيحة وبمؤلفه

ثانياً: التعريف بكتاب الانتصار وبمؤلفه

ثالثاً: إشارات البغدادي الدالة على الإطلاع

المبحث الثاني

إطلاع البغدادي على كتب ابن الراوندي والخياط

يتناول هذا المبحث الجواب عن عدة أسئلة مفادها: هل اطلع الإمام البغدادي على كتاب الانتصار للخياط، وما موضوع هذا الكتاب، وأي كلام نقله منه؟ هل نقل كلام الخياط؟ أم نقل كلام ابن الراوندي الذي كذبه على المعتزلة في كتاب فضيحة المعتزلة، ما موضوع هذا الكتاب، وسيتولى هذا المبحث الإجابة على هذه الأسئلة.

وتنور رحي هذه الأسئلة على المعتزلة، تلك الفرقة التي شهدت من الجذب والشد ما لم يشهده غيرها من الفرق الكلامية، وكان الناس تجاهها بين ناصر ونافر، ولا عجب أن نرى لها أطواراً ومراحل مختلفة.

فقد تقلب الزمن بالمعتزلة بين نشأة، وازدهار تبعه سلطة وسطوة، ثم أعقب ذلك أفول ومحنة، وطبيعي أن تتغير الحال من مرحلة لأخرى، وكانت سطوتهم فيما بين (سنة ١٩٨هـ) إلى (٢٣٢هـ) وهي فترة خلافة المأمون من (١٩٨ : ٢١٨هـ) والمعتصم (٢١٨ : ٢٢٧هـ) وابنه (الواثق ٢٢٧ : ٢٣٢هـ) وفي هذه الفترة خالطوا الخلفاء، وامتنعوا العلماء بخلق القرآن.

ثم جاء المتوكل (٢٣٢ : ٢٤٧هـ) فرفع المحنة وأهمل المعتزلة، وتبع ذلك أن تناولتهم الألسنة والأقلام فلم يبق لهم إلا الدفاع عن أنفسهم بعد انتهاء سطوتهم.

وتبع ذلك أن ألف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أحد أعلام المعتزلة كتاب (فضيلة المعتزلة) ولم يكن غرض الجاحظ بهذا الكتاب منحصرأ في "الثناء على المعتزلة، وعد فضائلها فقط، بل قصد أيضاً إلى الرد على الرافضة والطعن فيهم ووصف فضائعهم" (٤٧).

والخلاصة: أن لدينا ثلاثة كتب متتالية مترابطة وهي:

- ١- كتاب فضيلة المعتزلة، للجاحظ.
 - ٢- كتاب فضيحة المعتزلة، لابن الراوندي.
 - ٣- كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، للخياط.
- وأم يصل إلينا منها غير الثالث، أما الأول والثاني فهما مفقودان، بيد أن الخياط نقل لنا نصوصاً كثيرة منهما على اختلاف درجة النقل قلة أو كثرة. فنجد الخياط قد نقل من كتاب (فضيحة المعتزلة) نصوصاً كثيرة، حتى إنه يكاد يعطينا صورة شبه كاملة عنه، بحيث يمكن تخليص كتاب ابن الراوندي من خلال مرويات الخياط، وقد هممت بذلك لألحقه بهذا البحث ولكن لم أفلر رغبة في الإيجار واكتفاء بما نقله البغدادي منه وقمنا بمقارنته، وحتى لا يكون هناك تكرار بإعادته ثانياً ثم ظهر لي أنه سبق جمعة (٤٨).
- بينما قلت نصوص (كتاب الفضيلة) لأن الخياط لم ينقل منه إلا ما تناوله ابن الراوندي بالنقض، إذ ينقل رده على الجاحظ، ثم ينقض عليه رده، السؤال الآن هو: ماذا عن كتاب فضيحة المعتزلة لابن الراوندي؟؟

(٤٧) مقدمة الانتصار للخياط د/ نيرج ص ١٥ نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة دار الندوة ، بيروت ط ١٩٨٨م.

(٤٨) أشارت د/ إلهام في بحثها عن ابن الراوندي إلى كتاب فضيحة لابن الراوندي جمع د/ عبد الأمير الأسم بيروت ١٩٧٥م، باريس ١٩٧٧م، انظر مقدمة أبو الحسن بن الراوندي حياته وأرلوه د/ إلهام منعد فتحي محمد شاهين ماجستير بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة جامعة الأزهر (رقم ١٠٨٣) ١٩٩٥م.

أولاً: التعريف بكتاب الفضيحة ومؤلفه

يمثل كتاب فضيحة المعتزلة لابن الراوندي حلقة من حلقات الهجوم القاسي على المعتزلة، واسم الكتاب يشير إلى مضمونه فهو يهدف إلى فضيحتهم سواء أكان بحق أم بباطل، وإذا نظرت إلى تعقيدات الخياط عليه تبين أن أكثره كذب على المعتزلة.

ويمكن أن نستخلص من دراسة كتاب الانتصار للخياط (منهج ابن الراوندي في الفضيحة) فهو يتردد بين الكذب الصريح عليهم، وتحريف الرواية عنهم أو الغلط فيها، أو اقتضاها، وتارة يضيف إليهم من ليس منهم، أو الإصرار على نسبة من طردتهم المعتزلة ونفتهم عنها إليهم.

ونجد الخياط يصفه بالكذب الصريح كثيراً في مواضع لا تكاد تحصى.

وهذا الكذب من الراوندي هو الذي دفع الخياط إلى أن يقول له: "قد

كثرت كذبتك على المعتزلة في هذا الكتاب، حتى لقد كان الوجه في نقض كتابك أن يكتب على ظهره كذب صاحب الكتاب فيما حكاه عن المعتزلة"^(٤٩).

ويقول أيضاً مخاطباً الراوندي: "يقال له: إن ابتدأت بما ذكرت على

حسب ما مضى في كتابك من الكذب والسفه، فقد كمل كتابك، وصار الغاية في جمع الكذب وقول الزور، والنهاية في السفه على العلماء ولا أحسبك تفعل غير ذلك"^(٥٠).

ويشير الخياط إلى بعض مغالطاته كتحريف الرواية عنهم، وإضافته

إليهم من ليس منهم فيقول مخاطباً الراوندي: "لو صدقت في الحكاية عن أصحابه، لما وجدت لهم من سوء الاختيار إلا فرعاً لا يكاد ينجو منه عالم، ولكنك كذبت عليهم وحكيت عنهم ما ليس من قولهم، وأضفت إليهم من ليس

(٤٩) الانتصار للخياط ص ١٣١.

(٥٠) الانتصار ص ١١٢.

منهم^(٥١). فهو هنا ينص على أن الراوندي يضيف إلى المعتزلة من ليس منهم من أصحاب الآراء الموحشة الفاسدة.

والمتتبع للخياط يجده ينص على بعض من ليس من المعتزلة

فيقول عن "ضرار بن عمرو، وحفص الفرد: "أما ضرار وحفص الفرد فليسا من المعتزلة، لأنهما مشبهان.."^(٥٢).

ويقول الخياط أيضاً: "أما إضافته ابن حائط، وفضل الحذاء إلى المعتزلة. فلعمري: إن فضل الحذاء قد كان معتزلياً نظامياً إلى أن خلط وترك الحق فنفته المعتزلة عنها وطردته عن مجالسها، كما فعلت بك (يعني ابن الراوندي) لما أحدث في دينك وخلطت في مذهبك، ونصرت الدهرية في كتبك، وكما فعلت بأخيك أبي عيسى لما قال بالمنانية، ونصر الثنوية، ووضع لها الكتب يقوي أهلها ويؤكد قولها، وكذلك هي لكل من حاد عن سنن الحق وطعن في التوحيد ومال عن الإسلام، وأما ابن حائط فلا أعلم أحداً كان أغلظ عليه من المعتزلة ولا أشد عليه منها، ولقد بلغ من شدتها عليه أن خبرت الواثق بإلحاده، فأمر ابن أبي دواد أن ينظر في أمره وأن يقيم حكم الله فيه، فمات - لعنه الله - في ذلك الوقت"^(٥٣).

وهذا الكلام من الخياط يمثل وثيقة تاريخية تدلنا على من ليس من المعتزلة، وعلى بعض من طردتهم المعتزلة ونفتهم عنها، ويشير آخره إلى مدى سطوة المعتزلة وحظوتهم عند الخلفاء، حتى كان منهم قاضي القضاة وهو ابن أبي دواد (٢٤٠هـ).

(٥١) الانتصار ص ١١٤.

(٥٢) السابق ص ١٣٢.

(٥٣) الانتصار ص ١٤٢.

ونجد الخياط لا يتورع عن شتمه والدعاء عليه بقوله: "قويل لصاحب الكتاب، ما أشد بهته وأقل حياءه"^(٥٤) وقوله: "وهذا كذب وزور، وأحسب صاحب الكتاب أراد أن يسب النبي ﷺ وأن يضيف إليه فعل الخطأ، فذكره بذلك على لسان المعتزلة.. ما أجراً هذا الماجن على الكذب وقول الزور.^(٥٥) ومثل ذلك كثير.

والخلاصة: أن كتاب الفضيحة جمع فيه مؤلفه كثيراً من الكذب والزور على المعتزلة، وتحريف الروايات عنهم، أضاف إليهم من ليس منهم، ومن الأقوال ما ليس لهم بمذهب أو رأي، وذلك ظاهر من مطالعة الكتاب وتعقيبات الخياط.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الخياط أشار إلى بعض آراء المعتزلة وصحح نقلها، أو اعترف بقليل مما ذكره الراوندي كما هو، أو مع تصويب له عند الحاجة ونادراً ما كان يغفل الخياط ضلَب القضية وينحرف لغيرها، أو يكون في الكلام شقين فيجيب عند أحدهما ويهمل الآخر، وهذا نادر جداً^(٥٦).

ومن عجب ما نجده في الانتصار أن هناك موضعين: نقل الراوندي في الأول منهما الخلاف فيما ذكره، وفي الثاني شك في نقل الراوية عنهم بيد أن الخياط لا يروقه ذلك، ونبه القارئ على أن ذلك تلبيس وإيهام من الراوندي. أما الموضع الأول فهو: "قال الراوندي: وقد اختلفوا عنه في الحياة والموت..." وعقب الخياط قائلاً: "وقد عجبت من توقيه في هذا الموضوع

(٥٤) السابق ١٢٥.

(٥٥) السابق ص ١٠٦ وانظر ص ٦٢، ٦٩ وقال ص ٥٩. إن صاحب الكتاب قد أحل نفسه عند أهل الكلام محل المجانين... وبله..).

(٥٦) انظر الانتصار ص ٥٨، ٦٩، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٢٥، ١٤١، ١٤٣، ويشير د/ أبو ريدة لمثل ذلك بقوله: "والخياط يرد على ابن الراوندي ببيان مذهب للنظام على نحو يؤيد كلام ابن الراوندي ويدل عليه انظر: إبراهيم بن سيار للنظام وآراؤه الكلامية د/ محمد عبد الهادي أبو ريده ص ١٢٠ نشر دار التديم بالقاهرة ط (٢) ١٩٨٩ م.

وقوله: (قد اختلفوا عنه في الحياة والموت) وكيف لم يقطع عليه - أي على معمر - بأن الله لم يخلق الحياة والموت؟ ولعله أراد أن يوهم بهذا القول أن معه توكيلاً للكذب وتورعاً عن القول بغير علم^(٥٧).

والثاني ما رواه الراوندي عن قاسم الدمشقي بقوله: "كان يقول من زعم أن الخير وأنشر من الله فقد كفر، ولا أدري أكان يكفر الشاك في كفره أم لا؟ وعقب الخياط بقوله: "أما ترى - أكرمك الله - إلى إدخال الشك في خلال كلامه، ليوهم من لا يعرف أن معه توكيلاً للكذب، وتورعاً عن القول بغير علم^(٥٨)".

وهذا محير فلا أدري هل هو من سوء الظن منه بالراوندي، أو هو من تنبه الخياط وتيقظه لكلام الراوندي حتى عرف ما خفي من قصده، فلم يتركه، يموه أو يلبس على القارئ، ولا شك في كذب الراوندي في كتابه الفضيحة، ولكن علم الحقائق عند الله تعالى وحده.

وإذا كان هذا عن الكتاب فمن الذي جمع كل هذا الكذب والزور على المعتزلة، إنه ابن الراوندي فمن هو؟ وما مذهبه؟
* التعريف بابن الراوندي الملحد.

اسمه أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسن الملحد المروزي، ويقال فيه: الراوندي، والريوندي^(٥٩)، قيل عنه الملحد عدو الدين، صاحب التصانيف في الحط من الملة، وكان يلزم الرافضة والملاحدة فإذا عوتب في ذلك قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم، ثم إنه كاشف وناظر وأبرز الشكوك، وقيل عنه:

(٥٧) الانتصار ص ٨٢.

(٥٨) الانتصار ص ١٠٠.

(٥٩) ترجع د/ إلهام نسبته إلى (ريوند) وليس (راوند) انظر ابن الريوندي ص ٥٦، ٥٧..

عجبي كيف لم يقتل؟! وقد صنف (الدامغ) يدمغ به القرآن، (والزمرد) يرزي فيه على الأنبياء^(١٠).

يقول عنه القاضي عبد الجبار: "وكان ابن الراوندي المخذول من أهل الطبقة الثامنة، ثم جرى منه ما جرى وانسلخ عن الدين، وأظهر الإلحاد والزندقة، وطردته المعتزلة، فوضع الكتب الكثيرة في مخالفة الإسلام، وصنف كتاب (التاج في الرد على الموحدين) وبعث الحكمة في تقوية القول بالاثنتين، والدامغ في الرد على القرآن، والفريد في الرد على الأنبياء، وكتاب الطبائع، والزمرد، والإمامة، فنقض أكثرها الشيخ أبو علي، والخياط، والزبيري، ونقض أبو هاشم كتاب الفريد.

وصنف كتاباً سماه (فضائح المعتزلة) فنقضه أبو الحسين، ويسمى النقض (الانتصار).

واختلفوا في سبب إلحاده فقيل: فاقه لحقته، وقيل تمنى رياسه ما نالها، فارتد فكان يصنع الكتب للإلحاد، وصنف لليهود، والنصارى والثنوية، وأهل التعطيل، وقيل: صنف الإمامة للرافضة، وأخذ منهم ثلاثين ديناراً.

ولما ظهر منه ما ظهر قامت المعتزلة في أمره، واستعانوا بالسلطان على قتله، فهرب، ولجأ إلى يهودي في الكوفة، فقيل مات في بيته^(١١) وظاهر أن المعتزلة أكثر من تصدوا للرد عليه.

وقدم د/ نبيرج في مقدمة الانتصار ترجمة طويلة له، ونقل الخلاف في سنة وفاته فقيل سنة ٢٥٠هـ وقيل ٣٠٠هـ واختار أنه مات ٢٩٨هـ^(١٢). وقد فصلت د/ إلهام كل ما يتعلق بابن الراوندي في جميع جوانبه.

(١٠) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٩/١٤ ، ٦٠ رقم (٣١).

(١١) فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار تحقيق د/ النشار ص ٩٧ ، ٩٨ دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٩٧٢م، والمنيه والأمل للمرتضى تحقيق د/ محمد جواد مشكور ص ١٧٩ ، ١٨٠ مؤسسة الكتاب الثقافية دمشق ٩٨٨م.

وقد تحدثت عن الكتب التي دارت حوله، وعن مؤلفاته، وهي نحو ثمان وعشرين كتاباً، وكلها مفقودة، وأشارت إلى إحراقها، وذكرت كتاب (فضيحة المعتزلة) وأن د/ عبد الأمير الأعسم أفرد له رسالة خاصة نال بها درجة الدكتوراه من جامعة كمبودج ١٩٧٢م، وقام بمقارنة كلام ابن الراوندي عن المعتزلة وما حكا، عنه مؤرخوا الفرق الإسلامية بكلام المعتزلة أنفسهم، وأنه ترجم بعضها إلى اللغة العربية وطبعه سنة ١٩٧٦، وقام بترجمتها كلها إلى الفرنسية، وذكرت أن د/ زهدي جار الله في كتابه عن المعتزلة تطرق إلى المقارنة بين أقوال الراوندي ومؤرخي الفرق، وذكر ما رد به الخياط عليهم، وأشارت لبحث بعنوان (المحاكمة بين الخياط وابن الراوندي) نشرته مجلة النشاط الثقافي السنة الأولى عدد (٨) ص ١٩٥٨م، وقالت: إنه لا يتعلق بابن الراوندي إلا من عدة أسطر متفرقة متعلقة بكتاب الانتصار للخياط^(٦٣).

والخلاصة: أنه رجل له تاريخ أسود، وبُعد عن الإسلام ووضع للكتب للنيل من الإسلام والمسلمين والطعن في الأنبياء والقرآن، وأن المعتزلة قد نفتته عنها، واجتهدت في نقض كتبه، وقتله.

ثانياً: التعريف بكتاب الانتصار وبمؤلفه

الانتصار هو الكتاب الذي ألفه الخياط للرد على ابن الراوندي في كتابه (فضيحة المعتزلة) وقد حققه د/ نبيرج ووضع له مقدمة طويلة تحدث فيها عن الكتاب ومؤلفه، وقال عنه: "هو من تركة المعتزلة، ولا يخفي على عالم أن هذا الصنف من الكتب العربية قلما انتهى إلى هذا العصر، لما نزل بمنازلة من الإحراق والتدمير، وصب على رؤوس أصحابه من التقييح والتكفير.. ونسخته

(٦٣) انظر مقدمة كتاب الانتصار للخياط ص ١٦ : ٢٧ وانظر كتاب الانتصار ص ١٣٨، ١٤٢، ١٤٦،

١٥٧ فقد ذكر الخياط بعض أخباره.

(٦٤) انظر ابن الريوندي. المقدمة، ص ٥٤، ٨٤، ٨٨، ٩٧، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٦٣.

المحفوظة بدار الكتب قديمة جداً، وهي من أقدم ما في أيدينا من المخطوطات التي مادتها الورق، وقد فرغ من نسخها ٣٤٧هـ...

ونفهم مما هو مكتوب على الصفحة الأخيرة أنه كان في ذلك الزمان مستكرها غير مستحب نشره؛ لما فيه من الاعتناء بالمعتزلة والذب عنهم، ولأن مؤلفه معتزلي^(٦٤).

وكتاب الانتصار يشهد بسعة علم مؤلفه وهو "من أوله إلى آخره يفيدنا علماً مفصلاً بدقائق كلام المعتزلة ورجالها، ويشتمل على أخبار عن المتقدمين منها، وآرائهم لا نجد مثلاً في كتاب آخر مما انتهى إلينا"^(٦٥) من كتب تلك الفترة المتقدمة.

* أما عن مؤلفه [الخياط]

فمؤلفه هو: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، من الطبقة الثامنة، وهو أستاذ أبي القاسم البلخي، وكان عالماً فاضلاً، وله كتب كثيرة في النقض على ابن الراوندي، وكان فقيهاً صاحب حديث، وكان واسع الحفظ لمذاهب المتكلمين^(٦٦).

وقال عنه الذهبي: "كان من بحور العلم، له جلالة عجيبة عند المعتزلة، وهو من نظراء الجبائي، صنف كتاب الاستدلال، ونقض كتاب ابن الراوندي في (فضائح المعتزلة)، وله نقض (نعت الحكمة)، وكتاب الرد على من قال بالأسباب، ولا أعرف وفاته^(٦٧)، وإليه تنسب إحدى طوائف المعتزلة وهم الخياطية، ولقب هؤلاء بالمعدومة لإفراطهم في وصفهم المعدوم بأكثر صفات

(٦٤) مقدمة الانتصار ص ٦، ٧، بتصرف.

(٦٥) مقدمة الانتصار ص ١٣.

(٦٦) طبقات للمعتزلة ص ٩٠ والمنية ص ١٧٤.

(٦٧) سير النبلاء ٢٢٠/١٤.

الموجودات، لأنهم زعموا أن المعدوم جسم، وقد نقض الجبائي على الخياط قوله بأن الجسم جسم قبل حدوثه في كتاب مفرد^(٦٨).

ويقول د/ نبيرج عن وفاته: "لم يبلغنا أدنى خبر عن تاريخ وفاته فضلاً عن ولادته..." ثم يورد عدة روايات ينتهي منها إلى القول بأن (الحاصل أن الخياط عاش في النصف الثاني من القرن الثالث وتوفي بعد سنة (٣٠٠هـ) بقليل"^(٦٩).

وهذا القدر الموجز كاف في التعريف بالكتاب وبمؤلفه.

ثالثاً: إشارات البغدادي الدالة على الإطلاع

تثار هنا عدة أسئلة تحتاج للإجابة عليها وهي:

السؤال الأول: هل اطلع البغدادي على كتاب (الانتصار) للخياط؟؟

والسؤال الثاني: هل عرف البغدادي كتب ابن الراوندي وبخاصة كتاب

(فضيحة المعتزلة)؟؟

والسؤال الثالث: من أين نقل البغدادي كلام ابن الراوندي؟؟

إطلاعه على كتاب الانتصار:

والجواب عن السؤال الأول: أنه لا شك في معرفة الخياط لكتاب

الانتصار وإطلاعه عليه ونقله منه، وذلك بين واضح، وقد أكد د/ نبيرج ذلك

بقوله: "واقْتَبَسَ من الخياط أيضاً البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" ثم ساق

خمسَ مواضع ذكر فيها البغدادي الخياط وعقب قائلاً. "فَيَنْجُلِي من ذلك أن

البغدادي عرف كتاب الانتصار ونقل منه"^(٧٠).

وإشارات البغدادي صريحة في الدلالة على إطلاعه على الانتصار،

ونقله منه وهي:

(٦٨) انظر الفرق للبغدادي ص ١٠٧، ١٠٨.

(٦٩) مقدمة الانتصار ص ١١، ١٢.

(٧٠) مقدمة الانتصار ص ١٣، ١٤.

١- قوله: "وذكر أبو الحسين الخياط في كتابه على ابن الراوندي" فهو هنا يصرح بذكر الخياط وكتابه وينقل عنه.

٢- قوله: "وقد اعتذر أبو الحسين الخياط عن أبي الهذيل....".

٣- قوله: "وقد اعتذر الخياط عن أبي الهذيل في بدعته هذه....".

٤- قوله: واعتذر الخياط عن الفوطي بأن قال....".

٥- قوله: "واعتذر أبو الحسين الخياط عن ذلك بأن قال" (٧١) وهذا دليل

واضح على إطلاعه على الانتصار ونقله منه.

معرفة البغدادي لكتب ابن الراوندي:

والسؤال الثاني: هل عرف البغدادي كتب الراوندي؟

والجواب: نعم عرف البغدادي بعض كتب ابن الراوندي واطلع عليها،

والدليل على ذلك ما ورد في كتاب (أصول الدين) عندما تحدث عن (ترتيب

أئمة الدين في علم الكلام) في قوله: "وكان أبو عباس بن شريح أنزع الجماعة

في هذه العلوم، وله نقض كتاب (الجاروف) على القائلين بتكافؤ الأدلة وهو

أشبع من نقض ابن الراوندي عليهم" (٧٢).

ويقول أيضاً عندما تحدث عن هشام بن الحكم: "وحكى ابن الراوندي

في بعض كتبه عن هشام...." (٧٣) وهذان النصان يشهدان بمطالعة البغدادي

لكتب ابن الراوندي دون تعيين لاسم أي منها. ويبدو أن هذين الكتابين كانا في

فترة صلاحه وقبل نفيه وطرده.

(٧١) انظر الفرق بين الفرق ص ٨٦، ٧٤، ٧٥، ٩٦، ١٠٠، وقد أشار د، نيبرج إلى هذه المواضع

ليشبع في مقدمة الانتصار ص ١٣، ١٤.

(٧٢) أصول الدين للبغدادي ص ٣٠٩.

(٧٣) الفرق بين الفرق ص ٤١.

ويأتي السؤال الصعب المحير وهو من أين نقل البغدادي كلام ابن الراوندي؟ أو هل نقله عن الفضيحة؟ أم استلَّ كلام ابن الراوندي من الانتصار؟!

يصرح الدكتور نيبرج بأن البغدادي طالع كتاب الفضيحة ونقل عنه، وسنده في ذلك التشابه بين النصوص، وأن للبغدادي كتاباً يسمى بفضيحة المعتزلة أيضاً كما سمي الراوندي كتابه (بفضيحة المعتزلة)، وقد أشار إليه البغدادي باسم (فضائح القدرية) في كتاب الفرق بين الفرق ص (١١٠).

ولذا نجده يقول: فيتجلى من ذلك أن البغدادي عرف كتاب الانتصار ونقل منه. وأما ما ورد في كتابه من وصف مذاهب المعتزلة، فالظاهر أنه أخذه من كتاب (فضيحة المعتزلة) لابن الراوندي" ويؤكد ذلك ثانياً بقوله: "ذلك أن البغدادي في تأليف كتاب (الفرق بين الفرق) أخذ أكثر ما نقله عن المعتزلة من كتاب ابن الراوندي، كما يرى عند مقابلة الكتابين.. ثم ألف هو نفسه كتاباً سماه (فضيحة المعتزلة) (٧٤)، ولم يبق منه إلا اسمه، ولكن هذا الاسم فيه إيماء ظاهر إلى مأخذه" (٧٥).

وأشير إلى أن كلام د/ نيبرج هذا كان السبب المباشر الدافع لي إلى أعداد هذا البحث.

لكن لابد من حمل قوله: (مقابلة الكتابين) على كتاب الفرق بين الفرق وكتاب الانتصار ولا يمكن حمله على غير ذلك، لأن كتاب (فضيحة المعتزلة) لابن الراوندي وللبغدادي كلاهما مفقود لم يصل إلينا، فلا مقابلة إذن معهما. وكل ذلك الكلام مقبول وهو الظاهر المتبادر إلى الذهن والأقرب إلى الواقع ولكن لا يمكن الجزم به.

(٧٤) كذا بسميه د/ نيبرج نقلاً عن كشف الظنون ٤/٤٤٦، ولكن البغدادي أشار إليه باسم (فضائح القدرية) في (الفرق ص ١١٠) ولعله ذكره بمعناه.

(٧٥) مقدمة الانتصار ص ١٤ ، ٢٨.

ولكم وددت أن أسلم بذلك مطلقاً، وأؤكد به بتول البغدادي: (حكى ابن الراوندي في بعض كتبه عن هشام) ونحمل ذلك الإبهام على إرادته كتاب الفضيحة.

لكن ذلك يبدو غير صائب، لأن الراوندي هنا يروي عن هشام بن الحكم قولاً يسيء إليه وينفّر منه، وهو (أن بين الله تعالى وبين الأجسام المحسوسة تشابهاً)، ولا شك في أن ذلك كان قبل أن تنفيه المعتزلة وتطرده عنها، فالبغدادي يروي عنه من كتاب متقدم على هذه الفترة التي ألف فيها فضيحة المعتزلة، بل قد يكون ذلك مما كتبه أيام صلاحه واستقامته قبل الحادثة وطرده، لأنه بعد نفيه وطرده تقرب للرافضة، ووضع لهم الكتب، فقد روى أنه وضع لهم كتاب الإمامة وأخذ منهم ثلاثين درهماً، فيستبعد مع ذلك أن يهاجم أحد أعلامهم ويروي عنه ما يسيء إليه.

وكذلك يتضح من مطالعة (الانتصار) أنه لم ينقل عن هشام شيئاً يسيء إليه، بل كثيراً ما نجد الخياط يضيف ابن الراوندي إلى هشام ابن الحكم، ويجعله شيخه في الضلال، فما كان ليعيبه في تلك الفترة.

وعليه فالجزم بصحة ذلك تنقصه الأدلة، وبخاصة بعد مقارنة نصوص البغدادي بما نقله الخياط عن ابن الراوندي - وإن كان هو الأسهل والأقرب. ولذلك أجدني مدفوعاً لقول آخر وهو: أن البغدادي استل ما نسبته للمعتزلة في (الفرق) مما نقله الخياط عن ابن الراوندي في كتاب (الانتصار) تمهيداً للرد عليه ونقضه. وأستأنس لذلك بما يأتي:

١- مطالعة البغدادي لكتاب الانتصار، ونقله بعض اعتذارات الخياط عن أعلام المعتزلة - كما سبق ذكره.

٢- التشابه الكبير أحياناً بين كلام البغدادي وبين مجمل كلام ابن الراوندي والخياط معاً، بحيث تجد خيطاً من الكلامين عند البغدادي، وقد ينقل

الزامات الراوندي بما يوههم أنها منه أو ينسبها لأصحابه. كما سيتضح ذلك من مطالعة الفصل القادم الخاص بمقارنة النصوص وبخاصة في المسائل رقم (٥، ١٥، ١٦، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٥).

٣- تحامل البغدادي الشديد على المعتزلة مما قد يدفعه لذلك، وقد سبق نقل ما يدل على تحامله وشمته لهم بأقبح الألفاظ وأفحشها.

٤- ما ذكر من إحراق كتب ابن الراوندي - كما صرحت به د/ إلهام^(٧٦). ورغم ذلك لا يمكن الجزم بأحد القولين لأن كنيهما تنقصه الأدلة القوية لتأكيدده، فكلها فروض واحتمالات يعوزها الدليل.

* والخلاصة:

أن المنفق عليه هو أن البغدادي نقل ما نسبته للمعتزلة في كتاب (الفرق بين الفرق) عن كلام ابن الراوندي الملحد في كتاب (فضيحة المعتزلة) الذي كذب فيه عليها ورد عليه الخياط في (الانتصار). ويستوي بعد ذلك، أنقله من الفضيحة مباشرة أم نقله بواسطة الانتصار أو غيره. المهم أنه نقل أكاذيب وافتراءات لابن الراوندي عليهم.

وسيكون المبحث القادم - إن شاء الله تعالى - بمثابة التأكيد لذلك والاستدلال عليه، فستجد فيه تشابهاً، وتطابقاً بين نصوص البغدادي في (الفرق) وبين بحذف نصوص ابن الراوندي في (فضيحة المعتزلة) التي رواها الخياط عنه في (الانتصار).

(٧٦) في مقامة بحثها ابن الريوندي حياته وأرلوه ص (د).

المبحث الثالث

النصوص المأخوذة عن ابن الراوندي

سأعرض في هذا المبحث - بعون الله تعالى - النصوص التي أخذها البغدادي من كلام ابن الراوندي عن المعتزلة، والتي رواها لنا الخياط في كتابه (الانتصار) نقلاً عن كتاب (فضيحة المعتزلة).

وقد نسبها البغدادي إلى أعلام المعتزلة بما يوهم أنها أقوالهم وآراؤهم، والصواب أنها ليست من أقوالهم غالباً، وإنما هي من أكاذيب ابن الراوندي عليهم، وقد نبه الخياط على ذلك.

وسأرتب رجالهم تبعاً لترتيب القاضي عبد الجبار لهم في (طبقات المعتزلة) فأذكر العلم، ثم اتبعه بما نسب إليه من أقوال، ووضعت لكل مسألة عنواناً يشير إلى مضمونها، وقد يجئ العنوان في صورة سؤال.

وقد عالجت النصوص على النحو التالي:

- ١- أذكر نص كلام البغدادي كما جاء في كتاب (الفرق بين الفرق) أو (أصول الدين) أوهما معاً - حسبما تيسر لي العثور على النص.
- ٢- أذكر نص كلام ابن الراوندي كما رواه الخياط في (الانتصار).
- ٣- أرفقه بتعقيب الخياط على ابن الراوندي.

وقلما أعلق على ذلك؛ لأترك القارئ يتمكن من مقارنة النصوص ومقابلتها، واستخلاص النتيجة دون تعليق أو إملاء. ثم ذيلت ذلك بتعقيب عام.

- وأنبه على أنني اقتصر في هذه الدراسة على كتاب (الفرق بين الفرق) و (أصول الدين) للبغدادي فقط، وأن أكثر هذه النصوص الواردة هنا مأخوذة من (الفرق)، ولم نجد في (أصول الدين) إلا القليل، رغم الاستقصاء التام لهما بعون الله تعالى.

- وكذلك وقفت وقفة محايدة بين الجميع، فلم أتعصب لأي منهم، فقامت بتعقب من يستحق تعقبه، سواء أكان البغدادي أم غيره من أعلام المعتزلة بحيدة وأنصاف.

ترتيب الأعلام حسب ورودهم في طبقات المعتزلة

وهم من الطبقة الرابعة والسادسة والسابعة

١- واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد. من الطبقة الرابعة

٢- أبو الهذيل العلاف.

٣- إسحاق بن سيار النظام.

٤- بشر بن المعتمر.

٥- معمر بن عباد السلمي.

٦- هشام بن عمرو الفوطي.

٧- ثمامة بن أشرس النميري.

٨- عمرو بن بحر الجاحظ.

٩- عيسى بن صبيح المردار.

١٠- أبو علي الأسواري.

١١- الجعفران: ١- جعفر بن حرب

٢- جعفر بن مبشر.

١١- أبو جعفر الإسكافي.

الطبقة السادسة

الطبقة السابعة

أولاً: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد

١- توقفه فيما حدث لسيدنا عثمان ؓ

عقد البغدادي مسألة للحديث عن قتله سيدنا عثمان ؓ - وخاندليه

استهلها بقوله: "أجمع أهل السنة على أن عثمان كان إماماً على شرط الاستقامة

إلى أن قتل، واجمعوا على أن قاتليه قتلوه ظلماً، فإن كان فيهم من استحل دمه

فقد كفر، ومن تعدد قتله من غير استحلال كان فاسقاً غير كافر، والذين هجموا عليه واشتركوا في دمه معروفون يقطع بفسقهم

وأما الذين قعدوا عن نصره عثمان فهم فريقان: فريق كانوا معه في الدار فدفعوا عنه..

والفريق الثاني من القعدة عن نصرته فريقان: فريق أرادوا نصرته فنهاهم عثمان عنها ... والفريق الثاني: من السوقه أعانوا الهاجمين فشاركوهم في الفسق، والله حسبهم.

واختلفت القدرية في هؤلاء (أي السوقة) فتوقف واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد في عثمان وقاتليه وخاذليه، لأن أحد الفريقين عندهم فاسق كما أن أحد المتلاعنين فاسق، والفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر^(٧٧).

ثم نجد الخياط يشير إلى ما ذكره ابن الراوندي مختصراً بقوله: ثم ذكر قول واصل في عثمان (رضي الله عنه)، وذكر وقوفه فيه، وفي خاذليه وقاتليه، وتركه البراءة من واحد منهم" ثم يعقب الخياط بقوله: "وهذه سبيل أهل الورع من العلماء: أن يقفوا عند الشبهات، وذلك أنه قد صحت عنده لعثمان أحداث في الست الأواخر، فأشكل عليه أمره، فأرجأه إلى عالمه"^(٧٨).

٢- التوقف في تعيين الحكم على الفريقين المتحاربين:

يقول البغدادي وهو بصدد ما حدث بين الصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - في معركة الجمل: "وكان أهل السنة والجماعة يقولون: بصحة إسلام الفريقين في حرب الجمل ... وخرج واصل وزعم: أن فرقة من الفريقين فسقه لا بأعيانهم، وأنه لا يعرف الفسقة منهما...."^(٧٩).

(٧٧) أصول الدين للبغدادي ص ٢٨٧، ٢٨٨ - دار الكتب العربية بيروت - لبنان ط (٣) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٧٨) الانتصار للخياط تحقيق د/ نبيرج ص ١٠٨ مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

(٧٩) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٧٢ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد الحلبي بالقاهرة.

ويقول البغدادي أيضاً: "وقال واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد، والنظام وأكثر القدرية: نتولى علياً وأصحابه على انفرادهم، ونتولى طلحة والزبير واتباعهما على انفرادهم" (٨٠) ثم قال في تحقق شكه في الفريقين: لو شهد على فطلحة، أو علي والزبير، أو رجل من أصحاب علي ورجل من أصحاب الجمل عندي على باقة بقاء لم أحكم بشهادتهما لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه، كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمي بأن أحدهما فاسق لها بعينه، ولو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما قبلت شهادتهما" (٨١).

ثم قال الخياط: "ثم ذكر - ابن الراوندي - قوله - أي قول واصل - وقول عمرو بن علي وحربه، وطلحة والزبير وعائشة، وحربهم، ووقوفهما في أمرهم، ثم عقب الخياط بقوله: وهذا كالذي قبله كان القوم عندهما أبراراً أتقياء مؤمنين، قد تقدمت لهم سوابق حسنة مع رسول الله ﷺ، وهجرة، وجهاد، وأعمال جميلة، ثم وجدناهم قد تحاربوا وتجالدوا بالسيوف، فقالوا: قد علمنا أنهم ليسوا بمحققين جميعاً وجائز أن تكون إحدى الطائفتين محقة والآخرى مبطلّة، ولم يتبين لنا من المحقّ منهم من المبطل؟! فوكلنا أمر القوم إلى عالمه، وتولينا القوم على أصل ما كانوا عليه قبل القتال، فإذا اجتمعت الطائفتان قلنا: قد علمنا أن إحداكما عاصية. لا ندرى أيكما هي!!؟" (٨٢)

ونلاحظ هنا أن البغدادي ينسب هذا الرأي تارة إلى واصل وحده وتارة يجمع معه عمرو بن عبيد، والنظام، بل نسبه لأكثر المعتزلة.

ولعل تفسير ذلك أن واصل بن عطاء أول من قال بذلك ثم تابعه على هذا الرأي من جاء بعده من المعتزلة كعمرو، والنظام، وغيرهم ممن ارتضاه قولاً.

(٨٠) أصول الدين ص ٢٩٠.

(٨١) الفرق ص ٧٢.

(٨٢) الانتصار للخياط ص ١٠٨.

ويبدو أن واصل بن عطاء كان له كلام في ذلك بالفعل، وأن هذا النقل عنه يعكس ما قاله بالفعل، ويصح نسبه ذلك إليه حقاً. إذ نجد الخياط هنا - على غير عادته غالباً - يسلك طريقتين قلما يسلكهما في محاوره الراوندي: فنجده يروي القول مختصراً دون تفصيل، ويكتفي بالإشارة السريعة إليه - كما يتضح مما سبق نقله ونجده ثانياً: يحاول تفسير القول والاعتذار عنه في هواده ولين، دون أن يتعرض لتكذيب ابن الراوندي بأسلوب شديد كعاداته.

والحق أن محاولة تفسير ما جرى بين الرعيل الأول أمر محير مربك والذي أميل إليه: هو الإمساك عن الخوض في ذلك مطلقاً فضلاً عن محاولة الحكم عليهم، ويكفي ما ورد في فضلهم من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فننشعل بهذا عن ذاك.

ولكن إذا لم يجد الفرد من نفسه القدرة على الإمساك، واعتملت نفسه، وأبت إلا الخوض والحكم، أو كان في ميدان المجادلة أو المراء، هنا يمكن قبول ما ذهب إليه واصل بن عطاء لقطع الجدال، ولكن عليه أن يمسك عن وصفهم بالفسق، وقد يعبر بالخطأ.

ثانياً: أبو الهذيل العلاف

حظى العلاف من الخياط بالاعتذار الإجمالي فضلاً عن الاعتذار التفصيلي عما نسبته ابن الراوندي إليه، إذ يشير الخياط إلى أن ما نسبته الراوندي إلى العلاف لم يكن يدين به ويعتقده مذهباً له، بل صدرت هذه الأقوال عنه على سبيل المناظرة والإلزام للخصوم أو المخالفين، وأنه إنما كان يعتقد فسادها، فلما شنع الخصوم عليه بها رجع عنها وترك المناظرة فيها ودليل ذلك قوله: "ولولا أن هذا مذهب أم يكن أبو الهذيل يدين به ولا يعتقده،

وإنما كان يبوره وينظر فيه، لذكرت أشياء من القياس كان أبو الهذيل يحتج بها....^(٨٣).

ويقول الخياط أيضاً: "يقال له [أي للراوندي]: قد أخبرنا في غير موضع من كتابنا أن ما نحلته أبا الهذيل، وكذبت عليه في أكثره مما لم يكن يقول على التدين به، وإنما كان يبوره، ويتكلم فيه على النظر، وليتبين له الكلام حججاً على إخوانك من الدهرية، ثم تاب من الخوض فيه عندما رأى أمثالك من الملحدين يتعلقون به عليه"^(٨٤). هذا ما ذكره إجمالاً، وأما عن المسائل التي أخذها البغدادي من ابن الراوندي فهي:

٣- من أحوال أهل الآخرة (سكونهم)

قال البغدادي: "وزعم أبو الهذيل: أن أهل الجنة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خموداً ساكنين سكوناً دائماً"^(٨٥). وقال أيضاً: "ومن فضائحه قوله بأن أهل الجنة مضطرون إلى أكلهم وشربهم وجماعهم.... وليس لأحد في الآخرة من الخلق قدرة على اكتساب فعل ولا قول، والله عزوجل خالق أقوالهم وحركاتهم وسائر ما يوصفون به"^(٨٦).

وقال الخياط فيما يرويّه عن ابن الراوندي: "ثم قال: وقد كان أبو الهذيل يزعم أن أهل الجنة مع زوال الآفات عنهم، وصحة عقولهم وأجسادهم لا يقدرّون على قليل من الأفعال ولا كثير، وأنهم ومضطرون إلى ما هم فيه من حركة أو سكون أو قيام أو قعود.... ولن يزالوا عنده هكذا حتى يرد عليهم السكون الدائم الذي هو آخر ما في قدره الله عنده"^(٨٧).

(٨٣) الانتصار ص ١٢٥.

(٨٤) الانتصار ص ١٤١ ونظر كذلك ص ٤٩، ٥٠، ٩٢.

(٨٥) أصول الدين ٢٣٨.

(٨٦) الفرق ص ٧٤.

(٨٧) الانتصار ص ٩١.

٤ - هل لمقدوراته تعالى نهاية؟

قال البغدادي: "فمن فضائح أبي الهذيل: قوله بفناء مقدورات الله عزوجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء، ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان، ويبقى حينئذ أهل الجنة والنار خامدين لا يقدرّون على شيء .. وقد شنع المعروف منهم بالمردار على أبي الهذيل في هذه المسألة.."^(٨٨) وقال أيضاً: "وزعم المعروف بأبي الهذيل: أن مقدورات الله تعالى تفني، ويبقى أهل الجنة وأهل النار حينئذ خموراً في سكون دائم، ولا يقدر الله بعد ذلك على ضرر ولا نفع"^(٨٩).

ثم نجد الخياط يقول عن الراوندي: "زعم الماجن السفیه: أنا أبا الهذيل كان يقول: إن لما يقدر الله عليه ويعلمه غاية ينتهي إليها لا تتجاوزها قدرته ولا يتعداها علمه".

وتعقبه الخياط بقوله: "وهذا كذب على أبي الهذيل... وأنت تعلم أن أبا الهذيل كان يقول: إن الله عزوجل يعلم نفسه، وإن نفسه ليست بذی غاية ولا نهاية، وأما ما يقدر عليه فكان يقسمه على أمرين.." ^(٩٠).

وهنا نرى أن البغدادي يروي عنه - تبعاً لقوله الأول - قوله بتناهي نعيم أهل الجنة وهو ما رواه الخياط عن الراوندي بقوله: "ثم قال صاحب الكتاب: وقد خرج أبو الهذيل، أصحابه من الإجماع بالقول بتناهي نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار" وعقب عليه قائلاً: "هذا كذب على أبي الهذيل وأصحابه، وقول أبي الهذيل: إن أهل الجنة خالدین فيها أبداً"^(٩١).

(٨٨) الفرق ص ٧٣.

(٨٩) أصول الدين ص ٩٤.

(٩٠) الانتصار ص ٥٠ وخلاصة القسمين إن أريد به الحصر والنهية في علمه تعالى بهما فنعم هو تعالى محيط بها علماً، وإن أريد بالانقضاء والفناء فلا نهاية له بذلك المعنى.

(٩١) الانتصار ص ١٥٤.

٥- هل الله تعالى عالم وقادر بذاته؟

قال البغدادي: "ومن فضائحه: قوله بأن علم الله تعالى هو الله، وقدرته هي هو، ويلزم على هذا القول أن يكون الله تعالى علماً وقدره، ولو كان هو علماً وقدره لاستحال أن يكون عالماً قادراً... ويلزمه أيضاً.. أن يقول: إن علمه هو قدرته..."^(٩٢) وقال أيضاً: "وقال [أي العلاف] أنا أقول: إن الله عالم بعلم إلا أن علمه هو نفسه، وقادر بقدره، وقدرته نفسه، فالزمه أصحابنا - إذ كان علمه وقدرته نفسه - أن يكون نفسه علماً وقدره... فانقطع أبو الهذيل"^(٩٣).

ونجد الخياط يروي عن الراوندي قوله: "وكان يزعم أن علم الله هو الله، وأن قدرته هي هو، ثم قال [أي الراوندي يلزم العلاف] فكأن الله على قياس مذهبه علم وقدره، إذ كان هو العلم والقدره وما علمت أن أحداً من أهل الأرض اجترأ على هذا قبله".

ثم علق الخياط على الراوندي بقوله: "إن أبا الهذيل لما صح عنده أنه أن الله عالم في الحقيقة، وفسد عنده أن يكون عالماً بعلم قديم.... أو بعلم محدث... صح عنده أنه عالم بنفسه، ثم وجد القرآن قد نطق بأن له علماً فقال تعالى: "أنزله بعلمه" (النساء / ١٦٦) هذا معناه، وإنما غلط في اللفظ فقط.. فإنه خطأ عند أبي الهذيل أن يقال: إن الله علم وقدره...."^(٩٤).

ونلاحظ هنا أن البغدادي ينقل عن ابن الراوندي التزامه للعلاف،

وينسبها له أو لأصحابه.

(٩٢) الفرق ص ٧٦.

(٩٣) أصول الدين ص ٩١.

(٩٤) الانتصار ص ٩٤، ٩٥. وانظر ص ١١٥.

٦- القول بطاعة لا يراد بها وجه الله

قال البغدادي: "ومن فضائحه: قوله بطاعات كثيرة لا يراد بها وجه الله عزوجل كما ذهب إليه قوم من الخوارج الإباضية، وقد زعم أن ليس في الأرض صاحب هوي ولا زنيق إلا وهو مطيع لله تعالى في أشياء كثيرة، وإن عصاه من جهة كفره..."^(٩٥).

وقال الخياط يروى لنا قول الراوندي: "وكان يزعم أنه قد يطيع الله بعد المعرفة به والإقرار والقدرة على الإخلاص من لا يتقرب إليه بعمله ولا يبتغي به وجهه".

ثم عقب الخياط بقوله: "إن أبا الهذيل كان يقول في الطاعة التي لا يراد بها الله: وجدت الله تعالى قد نهى الخلق جميعاً عن النصرانية والمجوسية وأمرهم بتركهما، ووجدت المجوسي تاركاً للنصرانية معتقاً للمجوسية فاعلاً لها، فعلمت أنه عاص بفعله المجوسية التي نهى الله عنها، مطيعاً بتركه للنصرانية التي أمر بتركها... فإن الكلام في طاعة لا يراد الله بها لا يخطر على بال أكثر الأمة، وإنما يخطر ببال المتكلمين فقط"^(٩٦).

النظام

يشير د/ أبو ريدة في بحثه الخاص بالنظام إلى أن البغدادي لم يذكر مذاهب النظام كما ينبغي بقوله: "وهذا شطط وتكلف بعيد، فالنظام لم يقرر مذهبه على هذه الصورة التي ذكرها البغدادي"^(٩٧).

(٩٥) لفرق ص ٧٥.

(٩٦) الانتصار ص ٩٢، ٩٣ والخياط هنا يثني على المعتزلة وعلى العلاف بقوله: "وهذا باب لا يحسن فيه للكلام سوى المعتزلة، ولا تجد على أبي الهذيل في هذا الباب حرفاً إلا لإخوته المعتزلة مثل النظام وأصحابه، ويشتر بن المعتز وأصحابه.

(٩٧) إبراهيم بن سيار النظام د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ٩٤ دار للنديم بالقاهرة ط (٢) ١٩٨٩م.

ويصرح أيضاً بأن البغدادي قد أخذ عن ابن الراوندي بعض ما ذكره
عن النظام^(٩٨).

٧- علاقة القدرة بالأصلح

عندما تحدث البغدادي عن إسحاق بن سيار النظام ذكر قوله: "بأن الله عزوجل - لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة، لأن نعيمهم صلاح لهم، والنقصان مما فيه الصلاح ظلم عنده، ولا يقدر على أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة، ولا على أن ينقص من عذابهم شيئاً.

وزعم أيضاً: أن الله تعالى لا يقدر على أن يخرج أحداً من أهل الجنة عنها، ولا يقدر على أن يلقي في النار من ليس من أهل النار...."^(٩٩).

وقد عقد مسألة عنوانها: (أن الله تعالى قادر على أن يزيد في نعيم أهل الجنة، وعلى أن يزيد في عذاب أهل النار) قال فيها: "وزعم النظام: أنه تعالى لا يقدر على ذلك، وزعم أيضاً: أن طفلاً لو وقف على شفير جهنم لم يكن الله عزوجل قادراً على إلقائه فيها، وقدر غيره على إلقائه فيها"^(١٠٠).

وقال الخياط يروي عن الراوندي: "ثم إن الماجن الجاهل قال: فأما النظام فإنه زعم أن الله تعالى إذا علم أن فعل شيء أصلح من تركه، استحال منه تركه والتخلف عنه.

وهو يزعم [أي النظام] أن تنعيم أهل الجنة أصلح لهم من الفناء، فإذا قيل له: أيقدر الله الذي خلق أهل الجنة أن يميّتهم، وقد علم أن تنعيمهم

(٩٨) السابق ص ١٠٨ هامش رقم (٣).

(٩٩) الفرق ص ٨٠.

(١٠٠) أصول الدين ص ٢٣٩، ويشير د/ أبو ريدة إلى الترق بين ما رواه البغدادي هنا بلفظ (لا يقدر على) وما رواه الأشعري والشهرستاني بلفظ (لا يوصف بالقدرة على ...) انظر النظام ص ٨٩.

وإحياءهم أصلح لهم من الفناء والموت حتى يبقى وحده كما كان وحده؟؟ قال: هذا محال^(١٠١).

وقال الخياط ثانياً يروي عن الراوندي أيضاً: "وزعم النظام ... أنه ليس يجوز من الله تعالى ترك ما يعلم أن فعله أصلح لخلقه من تركه.." ^(١٠٢).

وقال الخياط ثالثاً يروي عن الراوندي أيضاً: "ثم قال: وزعم النظام وأكثر أصحابه: أنه ليس يجوز لأحد أن يصف الله بالقدرة على إدخال أحد من أهل النار الجنة، ولا على إدخال أحد من أهل الجنة النار، ولا على إخراج أحد دخل النار عنها، ولا على إخراج أحد دخل الجنة عنها، ولا على إماته أحد من أهل الدارين وإن كان هو الذي أحياه، ولا على الزيادة فيما يجازيهم به، ولا على النقصان منه"^(١٠٣).

ويظهر هنا مدى التشابه بين النصوص، ولكن أشير إلى أن الخياط أطل في الاعتذار عن النظام، وادعى أن ذلك القول لازم عن إحالة القدرة على الظلم، وأن أكثر المعتزلة توافقه على ذلك، وكذلك المجبرة - على حد تعبيره الخياط - والرافضة والمرجئة كلهم يحيلون القدرة على الظلم وصف الراوندي بالكذب أحياناً^(١٠٤)، والكلام كله مبني على إلزام النظام كما هو واضح.

وقد نقل لنا البغدادي مناظرة طويلة جرت بين سبعة من زعماء المعتزلة تكلموا في قدرة الله تعالى على الظلم وذكر أن النظام أحال ذلك^(١٠٥).

(١٠١) الانتصار ص ٦٥.

(١٠٢) الانتصار ص ٦٠.

(١٠٣) الانتصار ص ٦٢.

(١٠٤) انظر الانتصار ص ٥٦، ٦٠، ٦٢.

(١٠٥) الفرق ص ١١٩. وانظر الانتصار ص ٧٢، ٧٣ حيث ذكر الراوندي أن النظام يحيل القدرة على الظلم.

والخلاصة: أن المسألة من غامض الكلام ودقيقة فهي فرع عن سؤال مفاده: هل يقدر الله على الظلم، أو لا؟ وهل القدرة على الشيء يشترط فيها القدرة على الضده، أو لا، ويجب عدم طرحها أو الجدل فيها، إذ تكثر فيها الإلزامات التي لا يمكن التسليم بها، أو تقتضي عدم تقديس الله تعالى.

٨- حجية نظم القرآن الكريم

قال للبغدادى وهو يعدد فضائح النظام: "من فضائحه قوله: إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي ﷺ، ولا دلالة على صدقة في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقة: ما فيه من الإخبار عن الغيوب. فلما نظم القرآن وحسن تأليفه فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف، وهذا عناد منه لقول الله تعالى: "قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) " [الإسراء/٨٨].

ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله" وأشار إلى ذلك في كتابه (أصول الدين) أيضاً^(١٠٦).

وإذا ذهبنا إلى الخياط وجدناه يروي كلام الراوندي بقوله: "ثم قال: وكان يزعم: أن نظم القرآن وتأليفه ليسا بحجة للنبي ﷺ، وأن الخلق يقدرون على مثله (ثم قال) هذا مع قول الله عز وجل: "قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" [الإسراء/٨٨].

ثم عقب الخياط عليه بقوله: "اعلم - علمك الله الخير - أن القرآن حجة للنبي - عليه السلام - على نبوته عند إبراهيم من غير وجه [أي من أكثر من وجه]:

(١٠٦) للفرق من ٨٧، وأصول الدين من ١٠٨.

فأحدها: ما فيه من الأخبار عن الغيوب مثل قوله: الم (١) غَلِبَتْ
الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) [الرُّوم/١، ٣].
ومثل إخباره بما في نفوس قوم، وبما سيقولونه، وهذا وما أشبهه في
القرآن كثير.

فالقرآن عند إبراهيم حجة على نبوة النبي ﷺ من هبذه الوجوه وما
أشبهها..^(١٠٧) وبهذا يتضح لنا ما أخذه البغدادي من الراوندي.
ولكن تبقى هنا ملاحظة آخر ما ذكره البغدادي، وما عقب به، فقد نص
على نفي الإعجاز بالنظم والسبك وأن في قدرة العباد ما هو أحسن منه نظاماً
وتأليفاً.

وهذا أمر لا ندري هل قرأه البغدادي في كتب النظام، أو ألزمه إياه؟
يزيد من هذا الغموض أن الخياط سكت عنه، فلم يثبتته ولم ينفيه، ولعل
النظام لم يعول على النظم، بل اعتمد على الإخبار بالغيب في وجه إعجاز
القرآن، لأنه الأقوى والأقطع الذي لا يمكن الإتيان بشيء من جنسه مطلقاً، قل
أو كثر، فليس فيه مشاركة مطلقاً. أما النظم فتحصل فيه مشاركة ما مهما قلت
عن درجة نظم القرآن الكريم، فاعتمد النظام على الأقوى والأقطع للحجة مطلقاً
وهو الإخبار بالغيب.

وأما تعقيب البغدادي بقوله: (لم يكن غرض منكر إعجاز القرآن.) فهو
غير صحيح، ولا يمكن نسبته للنظام، لأنه لم ينكر إعجاز القرآن، وإنما أنكر
أن يكون هذا الوجه بعينه هو المعجز فيه، فقد صرح بإعجازه من وجه آخر
كما ذكره الخياط وهذا يكفي في اعتباره معجزاً، فتعقيب البغدادي هذا غير
صحيح، ولم يأت به إلا ليسيء إلى النظام، ويلزمه إنكار النبوة فيسهل عليه

(١٠٧) الانتصار ص ٦١، ٦٢.

رميه بالكفر الذي صرح به^(١٠٨). ويجعله بمثابة الدليل على ذلك. والله أعلم بعباده.

٩- قوله في المجانسة

قال البغدادي: "وزعم النظام: أن لا عرض إلا الحركة، وزعم أيضاً أن الأعراض كلها جنس واحد... زعم أن أفعال الحيوانات كلها جنس واحد وبني كلها حركات وسكنات... لزمه من ذلك أن يكون الكفر من جنس الإيمان، والقول من جنس السكوت، والعلم من جنس الجهل، والحب من جنس البغض.."^(١٠٩) هذا ما قاله البغدادي، وهو وارد على سبيل الإلزام، ويروى الخياط عن الراوندي بقوله: "ثم ذكر قول إبراهيم في المجانسة فقال: وكان يزعم أن الكفر مثل الإيمان، وأن العلم مثل الجهل، والحب مثل البغض". ثم عقب الخياط قائلاً: "ليس يقول إبراهيم بما حكاه عنه صاحب الكتاب، والإيمان عند إبراهيم مخالف للكفر، والعلم عنده ضد الجهل، والحب خلاف البغض."

ولكنه كان يقول في الجملة: إن أفعال الحيوان جنس واحد، وقد قالت المجبرة.. إن المحدثات كلها يشتبه من باب محدث ومحدث، ويختلف من باب: كفر وإيمان، وطاعة ومعصية، وحركة وسكون"^(١١٠). ويؤخذ من تعقيب الخياط أن النظام كان يقول ذلك على سبيل الإجمال، ومثل ذلك لا يجوز تفصيله - كما فعل البغدادي وألزمه للنظام - كما نقول: إن الله تعالى يريد لكل شيء على الإجمال، ولا يجوز تفصيل ذلك الإجمال.

(١٠٨) فنظر الفرق ص ٧٩، ٨٠.

(١٠٩) أصول الدين ص ٤٧، ٤٨، ونظر الفرق ص ٨٣ فضيحة (٥، ٧).

(١١٠) الانتصار ص ٦٣، ونظر للنظام ص ١٠٨.

١٠- النور والنار شأنهما العلو والصعود

قال البغدادي عن النظام: "ومنها أنه قال: إن الروح التي في الجسد هي الإنسان، وهي انفاعلة دون الجسد الذي هو قالبه....

ومن فضائحه: قوله: إن الروح جنس واحد، وأفعاله [أي أفعال الحيوان] جنس واحد، وأن الأجسام ضربان حي وميت، وأن الحي منها يستحيل أن يصير ميتاً، والميت يستحيل أن يصير حياً.

وعقب على ذلك بقوله: وإنما أخذ هذا القول من الثنوية البرهمية الذين زعموا: أن النور حي خفيف من شأنه الصعود أبداً، وأن الظلام موات ثقيل من شأنه التسفل أبداً" (١١١).

ويقول عنه أيضاً: "وزعم أيضاً: أن الأجسام ضربان: حي وميت، وأن الحي محال أن يصير ميتاً، والميت محال أن يصير حياً...

والثاني من إلحاده في هذا الفصل: أن قوله: إن الحي لا يصير ميتاً، والميت لا يصير حياً. مأخوذ من قول الديانصة: إن النور حي لا يجوز عليه الموت، والظلام ميت لا يصير حياً، وإنما تفعل الشر طباعاً" (١١٢).

ويروى لنا الخياط ما ذكره الراوندي فيقول: "ثم قال صاعب الكتاب" وكان إبراهيم يزعم أن الأرواح كلها جنس واحد، وأن سائر الأجسام من الألوان والطعوم آفة عليها.. فقد صدق كذلك كان يقول إبراهيم" (١١٣).

ويروى أيضاً عن الراوندي قوله: "وكان يزعم أن النور من شأنه أن يكون عالياً على كل شيء، وأنه إذا سلم من الشوائب المحتبسة له في هذا العالم لم يثبت طرفة عين، وارتفع على كل شيء حتى يجاوز العرش إلا أن

(١١١) الفرق ص ٨٢.

(١١٢) أصول الدين ٤٧، ٤٨.

(١١٣) الانتصار ص ٦٨، ٩٦.

يكون من جنسه، فإن كان من جنسه اتصل به ولم يفارقه وهذا بعينه قول المنانية في النور.

ثم عتب الخياط على ذلك بقوله: "إن الأمر الذي كفرت به المنانية ليس قولها: إن نور موجوداً، ولا أنه يذهب علواً، ولا إن الظلمة موجودة ولا إنها تذهب سفلأً، وإنما كفرت وألحدت بقولها إن النور والظلمة قديمان.... وإبراهيم يثبت حدث الأنوار كلها والظلام، ويثبت الله جل ثناؤه قديماً وحده" (١١٤) هذا ما دافع به الخياط عن النظام.

ولكن يؤخذ على النظام قوله: (وارتفع على كل شيء حتى يجاوز العرش) فهي عبارة غير مقبولة لما توهمه من الحيز أو الجهة، وهذا ما ينبغي الوقوف عند حدوده وعدم الخوض فيه ومراعاة الأدب مع كل ما يتصل بالذات العلية.

١١- هل يجوز الخطأ على الأمة

كان للنظام كلام في مدى حجية الإجماع وتفصيل يضيق عنه هذا المقام (١١٥)، وقد قال البغدادي عنه: "الفضيحة السابعة عشرة من فضائحه: تجويزه إجماع الأمة في كل عصر وفي جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأي والقياس" (١١٦).

وقال أيضاً: "وقد زعم النظام: أن هذه الأمة في عهد نبيها - عليه السلام - إلى أن تقوم القيامة لو أجمعت على حكم شرعي جاز أن يكون إجماعها خطأ وضلالة" (١١٧).

(١١٤) الانتصار ص ٦٩، ٧٠.

(١١٥) وقد فصل د/ أبو رينة ذلك في النظام ص ١٧.

(١١٦) الفرق ص ٨٧.

(١١٧) أصول الدين ص ١٩، ٢٠، ونظر ص ١١.

ويروي لنا الخياط ما قاله ابن الراوندي فيقول: "ثم قال: وكان يزعم أن أمة محمد ﷺ بأسرها قد يجوز عليها الاجتماع على الضلال من جهة الرأي والقياس، لا من جهة التنقل عن الحواس".

ثم علق الخياط قائلاً: "يقال له: هذا غير معروف عن إبراهيم، وإنما حكاه عنه عمرو بن بحر الجاحظ فقط، وقد غفل في الحكاية عنه، وهذه كتبه تخبر بخلاف هذا الخبر" (١١٨).

١٢- قوله بالكُمون في الخلق

قال البغدادي: "ومن فضائحه: قوله بأن الله تعالى خلق الناس والبهائم، وسائر الحيوان، وأصناف النبات والجواهر المعدنية كلها في وقت واحد، وأن خلق آدم عليه السلام لم يتقدم على خلق أولاده، ولا تقدم خلق الأمهات على خلق الأولاد، وزعم أن الله تعالى خلق ذلك أجمع في وقت واحد، غير أن الله أكنم الأشياء بعضها في بعض، فالتقديم والتأخير إنما يقع في ظهورها من أماكنها.." (١١٩).

وقال الخياط يروي عن الراوندي: "ثم قال: وكان يزعم أن الله خلقُ الناس والبهائم والحيوان والجماد والنبات في وقت واحد، وأنه لم يتقدم خلق آدم خلق ولده، ولا خلقُ الأمهات خلق أولادهن، غير أن الله أكنم بعض الأشياء في بعض فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من أماكنها دون خلقها واختراعها، ومحال عنده في قدره الله أن يزيد في الخلق شيئاً أو ينقص منه شيئاً".

ثم عقب الخياط بقوله: "وهذا كذب على إبراهيم، والمعروف من قول إبراهيم أن الله جل ذكره كان يقدر أن يخلق أمثال الدنيا وأمثال أمثالها لا إلى غاية، وكان مع قوله: إن الله خلق الدنيا جملة، يزعم أن آيات الأنبياء - عليهم

(١١٨) الانتصار ص ٧٨، ٧٩.

(١١٩) الفرق ص ٨٦.

السلام - لم يخلقها الله إلا في وقت ما أظهرها على أيدي رسله. هذا قوله المشهور المعروف عند أهل الكلام^(١٢٠).

وواضح هنا المصدر الذي استقى منه البغدادي، ولكن تجدر الإشارة إلى أن الخياط عندما قال إنه كذب على إبراهيم فإن هذا التعقيب منصب على ذيل ما حكاه الخياط عن ابن الراوندي كما يدل عليه ما بعده، وهو (إحالة القدرة على الزيادة في الخلق أو النقصان منه) وهو ما لم يذكره البغدادي. أما ما ورد من القول بالخلق جملة، فلم ينفه الخياط، بل أقربيه.

١٣- بعض أقواله الفقهية.

قال البغدادي: "من فضائحه: أنه لما ابتدع ضلالاته في العلوم العقلية أدخل في أبواب الفقه أيضاً ضلالات له، لم يسبق إليها والشأن أنه كان يقول بتفسيق أبي موسى الأشعري في حكمه^(١٢١) ثم اختار قوله في أن النوم لا ينقض الطهارة إذا لم يكن معها حدث على قول الجمهور الأعظم بأن النوم مضجعاً ينقض الوضوء..."

ومنها: أن زعم أن من ترك صلاة مفروضة عمداً لم يصح قضاؤه لها، ولم يجب عليه قضاؤها، وهذا عند سائر الأمة كفر^(١٢٢).

وقال الخياط يروى عن الراوندي: "وكان يزعم: أن من نام مضجعاً لا تجب عليه الطهارة وكان يزعم أن من ترك الصلاة عامداً لا تجب عليه إعادة".

ثم عقب الخياط على الأول بقوله: "وهذا أيضاً حكاه الجاحظ، وليس بالمحفوظ" يعني أنه غفل في الرواية عنه كالذي قبله^(١٢٣)، وعقب على الثاني

(١٢٠) الانتصار ص ٧٩.

(١٢١) يعني ما حدث من فتنة للتحكيم بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين.

(١٢٢) لفرق ص ٨٩.

بقوله: "وهذا كذب عليه، حكاه عنه أبو عبد الرحمن الشافعي، وقد غلط في حكايته" (١٢٤).

ونلاحظ مدى دقة البغدادي - رغم تشابه النقل - في إشارته إلى أن النظام ارتضى قول أبي موسى الأشعري في نقض وضوء المضجع، فهو لم يبتدعه وإنما اختاره وارتضاه.

ويبدو أنه كثر الاضطراب في النقل عن النظام، حيث أشار الخياط إلى أربعة مواضع اختلط فيها النقل عنه.

١٤- الهامة وقطع مالا يتناهى

قال البغدادي: "ومن عجائبه: أنه أنكر على المانوية قولهم بأن الهامة التي هي روح الظلمة عندهم - قطعت بلادها ووافت الصفحة العليا من العلى حتى شاهدت النور.

وقال لهم: إن كانت بلادها لا تتناهى من جهة السفلى. فكيف قطعتها؟! لأن قطع مالا يتناهى محال، ثم زعم - أي النظام - مع ذلك: أن الروح إذا فارق البدن قطع العالم إلى فوق مع قوله: بأن المقطوع من العالم غير متناهي الأجزاء...." (١٢٥).

وقال الخياط يروى كلام الراوندي: "ومنه أنه أنكر عليهم قولهم: إن الهامة قطعت بلادها ووافت بلاد النور وقال لهم: إن كانت بلادها لا تتناهى، فقطع مالا يتناهى يستحيل ... ثم زعم [أي النظام مع هذا الإنكار]: أنه ليس من بلاد قطعتها مع هذا الأرواح إلا وهي غير متناهية.. وللخياط تفصيل طويل

(١٢٣) أشار الخياط إلى أربعة مواضع كلها فيها خطأ في النقل عن النظام انظر الانتصار ص ٧٩ وهذا هو الموضوع الثاني منها.

(١٢٤) الانتصار ص ٧٩.

(١٢٥) الفرق ص ٨٤، ٨٥.

في محاولة فك هذا الإلزام للنظام^(١٢٦). وهذا ما ذكر عن النظام وجدنا له نظائر.

رابعاً: بشر بن المعتمر

١٥- متى تتحقق ولاية الله لعباده

قال البغدادي عندما تحدث عن البشرية من المعتزلة وهو يعدد أقوال بشر: "ونحن نكفر بشراً في أمور .. أولها: قول بشر: بأن الله تعالى ما وإلى مؤمناً في حل إيمانه، ولا عادي كافرأ في حال كفره، ويجب تكفيره في هذا على قول جميع الأمة .. وزعم بشر أن الله تعالى لا يكون مواليا للمطيع في حال وجود طاعته، ولا معادياً للكافر في حال وجود كفره، وإنما يوالي المطيع في الحال الثانية من وجود طاعته، ويعادي الكافر في الحالة الثانية من وجود كفره، واستدل على ذلك بأن قال: لو جاز أن يوالي المطيع في حال طاعته، وجاز أن يعادي الكافر في حال وجود كفره، لجاز أن يثيب المطيع في حال طاعته، ويعاقب الكافر في حال كفره، فقال أصحابنا: لو فعل ذلك لجاز. فقال: لو جاز ذلك لجاز أن يمسح الكافر في حال كفره.. فقلنا له: لو فعل ذلك لجاز"^(١٢٧) هذا ما ذكره البغدادي.

ونجد الخياط يروي عن ابن الراوندي قوله في بشر فيقول: "ثم قال: وأما بشر بن المعتمر، فإنه كان يزعم: أن الله ما والي مؤمناً قط في حال إيمانه، ولا عادي كافرأ قط في حال كفره، وإنما يعادي الكفار بعد كفرهم، ويوالي المؤمنين بعد إيمانهم" هذا ما قاله ابن الراوندي.

ثم عقب الخياط عليه بقوله: "يقال له: هذا الكلام الذي حكيتَه عن بشر توهم، ومذهبه غير هذا.

(١٢٦) الانتصار ص ٦٦، وينكر د/ أبو ريذة تفصيل ذلك بلفظ (الهامة) كما في الانتصار، وفي الفرق

(الهامة) وتعني روح الظلمة، لنظر النظام ص ١٢٨.

(١٢٧) الفرق ص ٩٥.

وقول بشر الصحيح: أن الله لا يوالي المؤمنين في أول أحوال إيمانهم، وكذلك ليس يعادي الكافرين في أول أحوال كفرهم، وإنما يعاديهم في الحال التي تليها، وهي الحال الثانية من حال كفرهم. هذا قول بشر.

وحجته في ذلك: أن الله إنما والي المؤمن لإيمانه، وجعل عداوته عقاباً للكافر على كفره. قال: فلو جاز أن يقع بعض الثواب وبعض العقاب على الفعل في حالة، لجاز ذلك في كل الثواب وكل العقاب.

فلو جاز ذلك لجاز أن يمسح الله الكافر في حال كفره كما لعنه في حال كفره، وهذا محال لا يجوز في قول، فكذلك ما قلت في الولاية^(١٢٨).

وإذا تأملنا ما سبق: وجدنا البغدادي ينقل قولين عن بشر الأول منهما مفاده: نفي الموالاة والمعاداة في حال الإيمان أو الكفر، وهو يشبه ما قاله الراوندي، والفرق بينهما: أن الراوندي قيد النفي بقوله (قط)، وجعل حصولهما (بعد) الإيمان أو الكفر، ولكن البغدادي اختصر الكلام ولم يقيده بظرف.

والقول الثاني مفاده: أن ذلك إنما يكون في الحالة الثانية من الإيمان أو الكفر. وهو ما يتفق مع ما ذكره الخياط بنصه، وصحح نسبته لبشر وكذلك الدليل، وحاصله: جعل الموالاة والمعاداة نوعاً أو بعضاً من الثواب والعقاب، فلو جاز وقوع البعض لجاز الكل، ويمكن منع الملازمة فنقول: قد يقع البعض دون الكل.

وعلة منع ذلك: أن الله ادخره وأخره لأجل مسمى، ودليله قوله تعالى: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا" [الكهف ٥٨].

وبهذا نجد البغدادي ينقل تبعاً عن الخياط، ولا ندري ما كان هل اختلط عليه ما يرويه الخياط عن ابن الراوندي بما يصحح به الخياط خطأ

الراوندي، فنقله كله منسوباً لبشر؟ أو تحامل على بشر حتى صرح بتكفيره؟
أو وقع على نسخة غير واضحة من الانتصار؟ والله أعلم بما كان.
وهذا يؤكد ما افترضته من أن البغدادي يستل ما يرويه عنهم من
الانتصار.

وأما قول الأشاعرة فهو: "أن الله تعالى لم يزل موالياً لمن علم أنه يكون
ولياً له إذا وجد، ومعادياً لمن علم أنه إذا وجد كفر ومات على كفره يكون
معادياً له قبل كفره، وفي حال كفره، وبعد موته" (١٢٩) ولعل الدافع لهم على ذلك
هو الاحتراز عما يوهم تبدل العلم وتغيره الله تعالى، وقد يجاب بأن التغير
والتبدل إنما يكون في متعلق العلم، أما العلم فقديم ثابت لا يتغير ولا يتبدل.
وبالجملة فقد تلحق تفاصيل وجزئيات المولاة والمعاداة بدقيق الكلام
وغامضه، وكفي الإيمان بإثبات ذلك إجمالاً دون تفصيل على ما صرح به
القرآن الكريم.

١٦- إفراطه في التولد

يروى لنا البغدادي مذهب بشر في التولد بقوله: "من فضائح بشر
افراطه في القول بالتولد حتى زعم: أنه يصح من الإنسان أن يفعل الألوان،
والطعوم، والروائح، والرؤية، والسمع، وسائر الإدراكات على سبيل التولد؛ إذ
فعل أسبابها، وكذلك قوله في الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وقد
أكفره أصحابنا وسائر المعتزلة في دعواه أن الإنسان قد يخترع الألوان
والطعوم والروائح والإدراكات" (١٣٠).

وقال الخياط يروي عن الراوندي: "ثم قال صاحب الكتاب: وكان يزعم
أن الإنسان يقدر على فعل الألوان، والطعوم، والأرايح، والحر والبرد،
واليبس والبلة، واللين والخشونة، وجميع هيئات الأجسام".

(١٢٩) الفرق ص ٩٥.

(١٣٠) الفرق ص ٩٥.

وقد عقب الخياط على الراوندي بقوله: "وقد كذب وقال الباطل، ليس يقول بشر بما حكاه عنه، وفعل هيئات الأجسام مما يستحيل عند بشر أن تقع من فعل غير الله، وإنما زعم بشر أن ما كان من الألوان يقع بسبب من قبله. فهو فعله، فأما ما لا يقع بسبب من قبله فذلك لله ليس له فعل فيه" (١٣١).

ونلاحظ هنا مدى التشابه بين كلام البغدادي والراوندي، والفرق بينهما أن الراوندي يقول، ولكن البغدادي يازمه القول بذلك، ولا شك أن البغدادي أفاد من كلام الراوندي والخياط معاً لإعطاء هذه الصورة التركيبية لرأي بشر، وذلك أننا نجد عنده عبارة (إذ فعل أسبابها) وهي ليست من كلام الراوندي، بل أخذها البغدادي من كلام الخياط في قوله (يقع بسبب من قبله)، وقد يؤكد هذا ما افترضته من احتمال استلال البغدادي الكلام من الانتصار.

١٧- الرجوع للمعصية بعد التوبة

قال البغدادي متحدثاً عن بشر: "ومن فضائحه قوله: بأن الله تعالى قد يغفر للإنسان ذنوبه، ثم يعود فيما غفر له فيعذبه عليه إذا عاد إلى معصيته، فسئل على هذا: عن كافر تاب عن كفره، ثم شرب الخمر - بعد توبته عن كفره - من غير استحلال منه للخمر، فاجأة الموت قبل توبته عن شرب الخمر. هل يعذبه الله تعالى في القيامة على الكفر الذي قد تاب منه؟ فقال: نعم. فقل له. يجب على هذا أن يكون عذاب من هو على ملة الإسلام مثل عذاب الكافر فالترزم ذلك" (١٣٢).

وقال الخياط يروي عن الراوندي: "ثم قال: وكان يزعم أن الله يغفر للناس ذنوبهم، ثم يعود فيما غفره لهم فيعذبهم عليه، إذا هم عادوا إلى معصيته فقل له: حدثنا عن كافر تاب من كفره، ثم شرب الخمر بعد توبته محرماً لشربها فعاصفه الموت قبل توبته: هل يعذب في القيامة على كفره الذي تاب

(١٣١) الانتصار ص ٨٦.

(١٣٢) الفرق ص ٩٥.

منه؟ قال: نعم! قيل له: أفليس قد يجوز أن يعذب الله أهل الملة بعذاب الكافرين؟ قال: بلى".

وقد علق الخياط بقوله: "وقد كذب على بشر، وحرف عليه قوله في حكايته عنه... وقول بشر المعروف: أن العبد إذا أتى كبيرة فقد استحق الوعيد ما لم يتب، فإذا هو تاب فقد استحق الوعد بالجنة. ما لم يعاود ذنباً كبيراً، فإن عاود ذنباً كبيراً أخذ بالأول والآخر. هكذا وقطع الوعد عند بشر، فإذا أذنب عنده ذنباً كبيراً ثم تاب منه ثم عاوده فعذب على الأول والآخر لم يكن الله بتعذيبه إياه على ذنبه الآخر راجعاً فيما غفر له لأنه إنما غفر ذنبه الأول على أن لا يعاوده فإن عاوده، عذبه. هذا قول بشر^(١٣٣).

أول ما نلاحظه ونحاول فهمه في العبارة الواردة عند البغدادي والراوندي (إذا عاد إلى معصيته، أو إذا هم عادوا إلى معصيته) هو بيان المراد: بمعصيته، هل المراد: إن عاد إلى معصية الله تعالى بأي نوع من المعاصي، أو المراد: إن عاد إلى المعصية التي تاب منها بعينها هي هي. والظاهر أن المراد: مطلق الرجوع لأي معصية مطلقاً. بدليل قول الخياط (ما لم يعاود ذنباً كبيراً فإن عاود ذنباً كبيراً أخذ بالأول والآخر) ولعل ذلك عند بشر راجع إلى مذهب المعتزلة في الاحباط^(١٣٤).

(١٣٣) الانتصار ص ٨٧.

(١٣٤) حيث روى الإيجي والتفتازاني عن جمهور المعتزلة القول بأن كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات، انظر شرح المواقف للإيجي ج ٨/ ٣٣٧ تحقيق محمد عمر النماطي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١٤٢٩ هـ / ١٩٩٨ م، وانظر شرح المقاصد للتفتازاني تحقيق إبراهيم شمس الدين ٣٨٥/٣ دار الكتب العلمية بيروت ط (١) ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، ويرى القاضي عبد الجبار المعتزلي: أن الأقل منهما يسقط بالأكثر، انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ص ٦٢٤ نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ط (٣) ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

على أن آخر كلام الخياط يدل على أن المراد معاودة الذنب نفسه لا مطلق المعصية بدليل قوله (فعاوده). وقوله: (لأنه إنما غفر ذنبه الأول على أن لا يعاوده فإن عاوده عذبه).

ولعل هذا الكلام من تقرير الخياط لكلام بشر، وليس نص كلام بشر، لاختلاف المراد فيهما، ففي الأول - كلام بشر - أراد مطلق المعصية وليس المعصية التي تاب منها، وفي الثاني - تقرير الخياط - أراد المعصية التي تاب منها بعينها، وعليه فتقرير الخياط أقرب من كلام بشر.

١٨- القدرة على تعذيب الأطفال

قال البغدادي متحدثاً عن بشر: "ومن فضائحه قوله: بأن الله تعالى يقدر على أن يعذب الطفل ظالماً في تعذيبه إياه، وأنه لو فعل ذلك لكان الطفل بالغاً مستحقاً للعذاب. وهذا في التقدير كأنه يقول: إن الله تعالى قادر على أن يظلم، ولو ظلم لكان بذلك الظلم عادلاً، وأول هذا الكلام ينقض آخره، وأصحابنا يقولون: إن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل، ولو فعل ذلك كان عادلاً" (١٣٥).

وقال الخياط يروي عن الراوندي قوله في بشر: "وكان يزعم أن الله يقدر أن يعذب الطفل ظالماً له في تعذيبه إياه، وأنه لو فعل ذلك لكان الطفل بالغاً عاصياً مستحقاً للعذاب فكأنه قال: يقدر أن يظلم ولو ظلم لكان عادلاً".

وعقب الخياط على الراوندي بقوله: "اعلم أنه قد زاد في الحكاية عن

بشر وحرف كلامه. إنما قال بشر: يقدر الله أن يعذب الطفل. فقيل له: فلو عذبه؟ قال: لو عذبه لما عذبه إلا وهو بالغ. فسئل فقيل له: أفليس إذا عذبه وهو بالغ فهو عادل عليه؟ فكأنك قلت: يقدر أن يظلمه ولو ظلمه كان عادلاً عليه. فجعل الكذاب سؤال المعتزلة له عن هذا الكلام حكاية عنه، وجعله قد قال به. وهذا هو الكذب" (١٣٦).

(١٣٥) الفرق ص ٩٥ ، ٩٦ .

(١٣٦) الانتصار ص ٨٧ ، ٨٨ .

ولعلك تدرك هنا مدى التطابق بين قول البغدادي وكلام الراوندي الذي وصفه الخياط بأنه كذب، وظاهر من كلام الخياط إنكار المعتزلة لمذهب بشر ذلك.

١٩- في اللطف والأصلح

قال البغدادي فيما ذكره عن بشر: "قوله: بأن الله قادر على لطف لو فعله بالكفار لآمن طوعاً.. وقوله: بأن الله تعالى لو خلق العقلاء ابتداءً في الجنة وتفضل عليهم بذلك فكان ذلك أصلح لهم" (١٣٧).

وقال الخياط يروي قول الراوندي: "ثم قال صاحب الكتاب: والمعتزلة تكفّره لقوله: إن عند الله لطيفة لو آتاهم الخلق لآمنوا، وقوله: إن ابتداء الخلق في الجنة كان أصلح لهم من ابتدائهم في الدنيا، وأن إماتة الله من علم أنه يكفر خير له من تبقيته".

وعقب الخياط على ذلك بقول: "اعلم - علمك الله الخير - أن صاحب الكتاب من شأنه الحكاية للكلام مبتوراً ليوحش جملة الحق عند من سمع حكايته، وهذا القول الذي حكاه عن بشر في هذا الموضع قد بتره، وهو القول باللطف، وهو أن بشراً كان يزعم: أن عند الله لطفاً لو أتى به الكفار لآمنوا طوعاً إيماناً يستحقون به الثواب الدائم في جنات النعيم. فلم يفعله بهم، فأنكرت المعتزلة ذلك عليه وناظرته فيه حتى رجع عنه وتاب منه قبل موته" (١٣٨).

وقد نقل البغدادي قول الراوندي كما هو واضح، وبالجملة فقد كان لبشر في اللطف قولاً منكراً - كما صرح به الخياط - لكنه رجع عنه وتاب منه.

(١٣٧) الفرق ص ٩٤.

(١٣٨) الانتصار ص ٨٧.

خامساً: معمر بن عباد السلمي

٢٠- هل يعلم الله تعالى نفسه

عندما تحدث البغدادي عن معمر بن عباد قال: "من فضائحه امتناعه عن القول بأن الله تعالى يعلم نفسه، ولأن من شرط المعلوم عنده: أن يكون غير العالم به، وهذا يبطل عليه بذكر الذاكر نفسه، لأنه إذا أجاز أن يذكر الذاكر نفسه، جاز أن يعلم العالم نفسه" (١٣٩).

وقال الخياط فيما يرويه عن الراوندي: "ثم إن الماجن السفیه ذكر معمرأ فاستعمل من الكذب عليه ما استعمله فيمن كان قبله فقال: فأما معمر فإني سمعت بعض أصحابه: يزعم أن من زعم أن الله يعلم نفسه فقد أخطأ، لأن نفسه ليست غيره، ولا بد من أن يكون المعلوم غير العالم قال فقلت له: أبهذا كان يقول صاحبكم؟ قال: نعم".

ثم عقب الخياط على ما رواه الراوندي بقوله: وهذا كذب منه على معمر.... وكيف تكون حكايته عن معمر صحيحه والإنسان عند معمر قد يعلم نفسه وليست غيره؟! فكيف يحيل أن يكون الله جل ذكره يعلم نفسه لأن نفسه ليست غيره؟! (١٤٠).

وهنا نجد التشابه واضحاً بين نص البغدادي وما رواه ابن الراوندي عن أحد من أصحاب معمر عن معمر نفسه، وقد كذبه الخياط في هذا النقل، وذكر أن معمرأ كان يقول: إن الله تعالى يعلم نفسه.

وهلا تعجبت معي!! كيف لم يدرك البغدادي ذلك التكريب ويتنبه إليه؟

وهو الذي طالع كتاب الانتصار، حتى لو افترضنا أنه نقل هذا الرأي لمعمر من كتاب آخر ولو كان كتاب الراوندي، أو من غيره، إنه لا يتحرى الحقيقة، ولا يهتم نقل الكذب عليهم.

(١٣٩) لفرق ص ٩٤.

(١٤٠) الانتصار ص ٨٠.

٢١- قوله في القرآن الكريم

قال البغدادي: "ومن فضائحه - أي معمر - أنه لما زعم أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض..... لم يمكنه أن يقول: إن كلامه فعله كما قاله سائر المعتزلة لأن الله لم يفعل شيئاً من الأعراض، والقرآن عنده فعل الجسم الذي حل الكلام فيه وليس فعلاً لله تعالى ولا صفة له، فليس يصح على أصله أن يكون له كلام على معنى الصفة ولا على معنى الفعل" (١٤١).

وقال الخياط يروي كلام الراوندي: "ثم قال: وكان يزعم أن القرآن ليس من فعل الله، ولا هو صفة له في ذاته كما تقول العوام، ولكنه من أفعال الطبيعة".

ثم عقب الخياط بقوله: "اعلم - أرشدك الله إلى الخير - أن معمرأ كان يزعم أن الله هو المكلم بالقرآن، وأن القرآن قول الله وكلامه، ووحيه، وتنزيله. ولا مكلم له سواه، ولا قائل له غيره، وأن القرآن محدث لم يكن ثم كان" (١٤٢).

والظاهر أن كلام البغدادي وارد على سبيل الإلزام أي أن ذلك القول يلزمه استصحاباً لأصله، وإلزامه هذا يطابق ما ذكره ابن الراوندي، وقد صحح الخياط قولهما ونسب إلى معمر ما يقول به.

٢٢- قوله في الأعراض

قال البغدادي يذكر بعض آراء معمر: "كان يقول: إن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض من لون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وأنه لم يخلق شيئاً من صفات الأجسام....، وكان يزعم أن الله إنما خلق الأجسام، ثم إن الأجسام أحدثت الأعراض... والأصوات عنده من فعل الأجسام المصونة بطباعها، وفناء الجسم عنده فعل الجسم بطبعه، وصلاح الزروع وفسادها من فعل الزروع عنده، وزعم أن فناء كل فنان فعل له

(١٤١) لفرق ص ٩٢.

(١٤٢) الانتصار ص ٨٢.

بطبعه... وفي قوله: إن الله لم يخلق حياة ولا موتاً تكذيب منه لوصف الله تعالى نفسه بأنه يحي ويميت^(١٤٣).

وقال الخياط يروي عن ابن الراوندي: "ثم قال صاحب الكتاب: وكان يزعم - يريد معمرأ - أن الأمراض والأسقام من فعل غير الله، وكذلك ما يصيب النبات..."

ثم قال: وقد اختلفوا عنه في الحياة والموت: فهمنهم من زعم أنه كان يضيفهما إلى الله مجماً لقول الله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ" [المك/٢]، ومنهم من زعم أنه كان يضيفهما إلى غيره وهو الحي والميت.

وقد عقب الخياط على الأول بقوله: "اعلم - أسعدك الله - أن معمرأ كان يزعم: أن الله الممرض المسقم لمن أمرضه وأسقمه، وأن أحداً لم يمرض نفسه ولم يسقمها، وكان يزعم أن الله المصيب للنبات والزرع بالمصائب التي تكون من قبله، فأما ما أصاب الزرع والنبات من ظلم الناس وجورهم فإن الله من ذلك برئ، وهو من فاعله من ظلمة الناس".

ثم عقب على الثاني الذي روى فيه الخلاف بقوله: "وقد عجبت من توقيه في هذا الموضع وقوله: قد اختلفوا عنه في الحياة والموت. كيف لم يقطع عليه بأن الله لم يخلق الموت والحياة؟! ولعله أراد أن يوهم بهذا القول أن معه توقياً للكذب وتورعاً عن القول بغير علم.

وقول معمر: إن الله خلق الموت والحياة، وكيف يجوز له القول بغير هذا، والله يقول: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) [المك/٢] فنص على خلقهما نصاً^(١٤٤).

(١٤٣) الفرق ص ٩١، ٩٢. وهو يشير إلى (الآية رقم ٢٢ سورة الحديد) (له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)، وانظر أصول الدين له ص ٩٥، ١٣٥، ١٧٧.

(١٤٤) الانتصار ص ٨١، ٨٢ بتصرف.

نلاحظ هنا أن البغدادي قطع بنسبه ما تردد فيه ابن الراوندي إلى معمر، حيث نسب إليه القول بأن الله لم يخلق الموت والحياة، بينما روى الراوندي فيهما الخلاف، ولم يقبل الخياط حتى رواية الخلاف، فضلاً عن القطع، ورماه بأنه مموه ملبس، وذكر أن معمرأ يذهب إلى ما يوافق القرآن الكريم، ولا يمكنه غير ذلك، وأما فساد الزرع فقد فرق فيه بين نوعين كما سبق، وذلك فرع عن أصول المعتزلة في خلق الأفعال.

وفي ظل هذا التشابه يمكنني القول: بأن البغدادي يطالع الانتصار ثم يعيد صياغته بما يتفق مع هواه وتحامله على المعتزلة.
سادساً: هشام بن عمرو الفوطي

٢٣- الوكيل من أسمائه تنال

عندما تحدث البغدادي عن إتباع هشام الفوطي أخذ يعدد فضائحه فقال: "منها أنه حرم على الناس أن يقولوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل) من جهة تسميته بالوكيل، وقد نقط القرآن بهذا الاسم... واعتذر الخياط عن الفوطي بأن قال: إن هشاماً كان يقول: حسبنا الله ونعم المتوكل عليه بدلاً من الوكيل، وزعم أن وكيلاً يقتضى موكلاً فوقه. وهذا من علامات جهل هشام والمعتذر عنه بمعاني الأسماء في اللغة، وذلك أن الوكيل في اللغة، بمعنى الكافي، لأنه يكفي موكله أمر ما وكله فيه"^(١٤٥). وهذا ما قاله البغدادي، وما نقله عن الخياط.

فإذا جئنا إلى الانتصار وجدناه يروي كلام الراوندي بقوله: "ثم قال: وأما هشام الفوطي فإنه كان ينهي الناس عن أن يقولوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل)".

ثم علق الخياط بقوله: "اعلم - علمك الله الخير - أن هشاماً كان يزعم أن الوكيل في أكثر ما يتعارفه الناس فوقه من وكله. قال - أي هشام - فأكره

(١٤٥) لفرق ص ٩٦، ٩٧.

أن أصف الله بصفة توهم عليه مالا يجوز من صفاته. ففيل له: أفليس قد مدح الله قوماً في القرآن قالوا: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" (١٤٦) فقال قد علمت بمدح الله لهم أنهم لم يقصدوا بهذا القول إلا إلى معنى صحيح وإلا لما مدحهم ولأخبر بخطئهم فيه

ثم حكم الخباط على هشام في هذا القول بقوله: "وإنما هذا غلط من هشام في لفظ منعه احتياطاً عن نفسه، وأبدل مكانه لفظاً آخر" (١٤٧).

وهنا لا بد من من ملاحظة: أن البغدادي يصرح بمطالعته لكتاب الانتصار، وينقل عنه ويصرح بذكر الخياط ومحاولة اعتذاره عن هشام الفوطي، ويرميها معاً بالجهل، والمشاهد أن الخياط لم يعتذر عن هشام بل نكر مذهبه الذي كان يقول به، ومناظرة البعض له، ثم أردف ذلك بالحكم على هشام بالغلط في احتياطه، وإن كان يتخفف من هذا الوصف له، كأنه يلحقه بالخطأ في الاجتهاد.

والحقيقة: أن هذا ليس غلطاً بل إفراط مذموم من الفوطي وافتيات على الله، فما كان له أن يمنع ما وصف الله تعالى به نفسه، لأن الله تعالى أعلم بنفسه وهو القائل: "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" [طه / ١١٠] فهل توهم الفوطي أنه سينزه الله تعالى فوق تنزيهه لذاته، وهو القائل: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" [الزمر / ٦٧] فما كان ينبغي له إلا أن يقف عند حدود ما سمى الله به نفسه، وما صرح به النقل، وإن أراد الاحتياط فله أن ينبه على ما ينبغي اعتقاده بدفع كل ما يوهم مالا يليق بذاته تعالى، وليس له أن يمنع ما أطلقه الله تعالى، وسمى به نفسه، ومدح قائله.. والله أعلم.

(١٤٦) ير قوله تعالى: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" [آل عمران ١٧٣].

(١٤٧) الانتصار ص ٨٣.

قال البغدادى: "ومن فضائح الفوطي قوله بالمقطوع والموصول وذلك قوله: لو أن رجلاً أسبغ الوضوء، وافتتح الصلاة متقرباً بها إلى الله سبحانه، عازماً على إتمامها، ثم قرأ فركع فسجد مخلصاً لله تعالى في ذلك كله، غير أنه قطعها في آخرها، فإن أول صلاته وآخرها معصية قد نهاه الله تعالى عنها وحرّمها عليه، وليس له سبيل قبل دخوله فيها إلى العلم بأنها معصية فيتجنبها، واجتمعت الأمة قبله على أن ما مضى منها كانت طاعة لله تعالى، وإن لم تكن صلاة كاملة" (١٤٨).

ثم قال الخياط يروي كلام الراوندي: "ثم قال: وكان يزعم أن رجلاً لو أسبغ الطهور ثم افتتح صلاة الظهر متقرباً إلى الله تعالى غير قاصد إلى غيره عازماً على تمام صلاته، ثم قرأ وركع وسجد مخلصاً في جميع ذلك غير متعمد لقطعه ولا متشاغل بغيره، إلا أن الله يعلم أنه يقطع صلاته في الركعة الرابعة، أن أول صلاته وآخرها معصية قد نهاه الله عنها وحرّمها عليه، وليس له سبيل قبل دخوله فيها إلى العلم بأنها معصية فيتجنبها، ثم قال: هذا قوله بعينه لم نزد شيئاً".

ثم عقب الخياط على الراوندي بقوله: "اعلم - علمك الله الخير - أن هشاماً كان يقول: إن هذا الذي وصف صاحب الكتاب شأنه، قد أمره الله إذا هو قطع صلاته في الرابعة أن يعيد الظهر أربعاً، ولا يعتد بالثلاث ركعات التي فعلهن، قال: فلو كان ما مضى من الثلاث ركعات من صلاة الظهر، كان الله قد فرض عليه صلاة الظهر سبع ركعات: الثلاث التي قطعها، والأربع التي عليه أن يأتي بها، وقد أجمعت الأمة على أن الله فرض الظهر أربع ركعات فقط" (١٤٩).

(١٤٨) للفرق ٩٨، ٩٩.

(١٤٩) الانتصار ص ٨٤.

ولعلك تدرك ما بين كلام البغدادي وابن الراوندي من تشابه، وتدرك ما

بين كلامهما وكلام الخياط فيما يروي عن هشام من تباين، والأمر في ذلك كله
يسير لا يحتاج إلى خلاف، لأن من فسدت صلاته وجب عليه إعادتها، وأما
كون ذلك في علم الله فنقول كما هو معلوم: كان في علم الله ولم يحملهم عليه.

٢٥- دلالة الأعراض وعدمها

قال البغدادي: "ومن فضائح الفوطي: قوله: بأن الأعراض لا يدل شيء
منها على الله تعالى..." (١٥٠).

وقال الخياط فيما يروي عن الراوندي: "ثم قال: وكان يقول: ليس، في
العالم لون، ولا طعم، ولا رائحة، ولا حر ولا برد، ولا يبس ولا بلة، ولا
تأليف ولا افتراق، يدل على الله تعالى، وذلك أن هيئات الأجسام كلها لا تدل
على خالقها".

ثم يعلق الخياط على ذلك بقوله: "اعلم - اكرمك الله - أن هشاماً كان
يزعم: أن الأدلة على الله لا بد أن يعرف وجودها باضطرار، والأعراض إنما
يعرف وجودها باستدلال ونظر، وإنما الأدلة عنده الأجسام التي يعرف وجودها
حساً ومشاهدة... ثم كان يزعم مع هذا القول: أن الأجسام بألوانها، وطعومها،
وأرايحها، وتأليفها وافتراقها، وحرها وبردها، وبيسها وبلتها، دلائل على الله
أنه خلقها ودبرها" (١٥١).

ونلاحظ أن البغدادي اختصر ما فصله الراوندي فعبّر بالأعراض بدلاً
من عدها، ومن خلال تعليق الخياط نلاحظ أن هشاماً حريص على طرد أصوله
وهو مبني على التفريق بين ما يعرف وجوده باضطرار وهو ما يدل على
وجود الله تعالى أو ما يعرف أو يبحث ونظر، فالدلائل عنده إنما تتحقق
بالأجسام وما يصاحبها من أعراضها.

(١٥٠) الفرق ص ٩٨.

(١٥١) الانتصار ص ٨٣.

قال البغدادي: "ومن فضائح بشر: إنكاره حصار عثمان، وقتله بالغبلة والقهر، وزعم أن شردمة قليلة قتلوه غرة من غير حصار مشهور، ومنكر حصار عثمان مع تواتر الأخبار به كمنكر وقعتي بدر وأحد، مع تواتر الأخبار بهما" (١٥٢).

وقال الخياط عن الراوندي: "وكان يزعم أن عثمان لم يحصر طرفة عين، وأنه لو حصر بحضرة الصحابة لفسقوا بتركهم الدفع عنه. ثم عقب الخياط على ذلك بقوله: "يقال له: هذا قول هشام وجماعة من المتكلمين كثيرة يزعمون أن الأمر في عثمان: أن جماعات اجتمعت تشكو إليه عماله، وتستعنبه من أشياء أنكرتها عليه، فدخل عليه قوم غفلة فقتلوه من غير علم من المسلمين بذلك.." (١٥٣).

وقد أقر الخياط بهذا القول للفوطي، وبين أنه لم ينفرد به، بل شاركه غيره، وذكر علتهم في اختيار ذلك الرأي.

٢٧- هل يقتل المخالف غيلة

قال البغدادي: "وكان الفوطي مع ضلالاته .. يرى قتل مخالفه في السر غيلة، وإن كانوا من أهل الإسلام. فماذا على أهل السنة إذا قالوا في هذا الفوطي وإتباعه: إن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين وفيه الخمس، وليس على قاتل الواحد منهم قود ولا دية ولا كفارة، بل لقاتله عند الله تعالى القربى والزلفي. والحمد لله على ذلك" (١٥٤).

وقال الخياط يروي عن الراوندي: "ثم قال: وكان يستجيز الغيلة ويرى أن يفتك بمخالفه ويأخذ أموالهم بغير حق وجب له عليهم".

(١٥٢) للعرق ص ٩٩.

(١٥٣) الانتصار ص ٨٥.

(١٥٤) للفرق ص ٩٩.

ثم عقب الخياط عليه بقوله: "وهذا كذب عليه لم يقل به" (١٥٥). ويظهر هنا مدى تحامل البغدادي على المعتزلة، ومدى التشابه بين كلامه وكلام الراوندي، وتزيده عليه بقيد (وإن كانوا من أهل الإسلام) وهو ما لم يشر إليه الراوندي رغم تكذيب الخياط لقوله مطلقاً.

سابعاً: ثمامة بن أشرس النميري

٢٨- هل يصير الناس تراباً في الآخرة؟

عندما تحدث البغدادي عن النمامية أتباع ثمامة بن أشرس النميري قال عنه: "إنه شارك أصحاب المعارف في دعواهم أن المعارف ضرورية وزعم لأجل ذلك أن عوام الدهرية، والنصارى، والزنادقة بصيرون في الآخرة تراباً، وزعم أن الآخرة إنما هي دار ثواب أو عقاب وليس فيها لمن مات طفلاً، ولا لمن لا يعرف الله تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثواباً، ولا معصية يستحقون عليها عقاباً، فيصيرون حينئذ تراباً إذا لم يكن لهم حظ في ثواب ولا عقاب" (١٥٦).

وقال الخياط يقرر كلام الراوندي: "ثم قال الماجن الكذاب: وزعم ثمامة: أن أكثر اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدهرية، ونساء أهل القبلة وعوامهم، وأطفال المؤمنين، والبنين بأسرهم يصيرون في القيامة تراباً، ولا يدخل اليهود والنصارى وسائر من عددنا من الكافرين، ولا الأطفال، وعوام أهل الإسلام الجنة".

وقد عقب الخياط على ذلك بقوله: "وهذا كذب على ثمامة. اليهود والنصارى وجميع الكفار عند ثمامة في النار خالدين فيها أبداً، والكافرون عند ثمامة هم العارفون بما أمروا به ونهو عنه، القاصدون إلى الكفر بالله والمعصية له، فمن كان كذلك فهو كافر، فأما من لم يقصد إلى المعصية لله

(١٥٥) الانتصار ص ٨٦ وقد نص الخياط على أن الفوطي يريد المرتد الذي صحت رده.

(١٥٦) الفرق ص ١٠٣.

فليس بكافر عنده... وكان يحكم على كل من أظهر شيئاً من الكفر بحكم ما أظهره....^(١٥٧).

وظاهر هنا مدى تأثر البغدادي بالراوندي فيما نسبته لثمامة، ولكن الخياط صحح هذا الكلام الوارد على سبيل الإلزام الناشئ عن مذهبه في المعرفة وقال إنه كان "يزعم أن هذا الاسم إنما يلزم القائل به بعد المعرفة، فأما من قال به وليست معه معرفة فلا حجة عليه، ولا يسميه يهودياً ولا نصرانياً ولا كافراً"^(١٥٨).

ثامناً: عمرو بن بحر الجاحظ

٢٩- فناء الأجسام

عندما تحدث البغدادي عن الجاحظية من المعتزلة نسبها لعمرو بن بحر الجاحظ، وعد من فضائحه "قوله باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها .. وأنه لا يصح بقاءه بعد أن خلق الخلق منفرداً كما كان منفرداً قبل أن يخلق الخلق"^(١٥٩)، ويقول أيضاً: "فمن قال يقدم الأجسام أحال عدمها، وكل من قال بحدوثها أجاز الفناء عليها إلا الجاحظ فإنه أحال عدم الأجسام"^(١٦٠). وقال: "وزعم الجاحظ أنه يستحيل إفناء الأجسام... وأنه أحال أن يبقى الإله سبحانه كما كان في الأزل فرداً"^(١٦١).

وقال الخياط يروى كلام الراوندي: "ثم قال: وأما الجاحظ فإنه يقول إنه محال أن يعدم الله الأجسام بعد وجودها، وإن كان هو الذي أوجدها بعد عدمها. وذهب في إحالة بقاء القديم وحده إلى مذهب من سميناً من أصحابه".

(١٥٧) الانتصار ص ١٠١، ١٥٦.

(١٥٨) الانتصار ص ١٠١.

(١٥٩) الفرق ص ١٠٦.

(١٦٠) أصول الدين ص ٦٧، ٦٦.

(١٦١) السابق ص ٨٧.

وقد علق الخياط على ذلك بقوله: "وهذا كذب على الجاحظ عظيم، وذلك أن قول الرجل إنما يعرف بحكاية أصحابه عنه أو بكتبه، فهل وجد هذا القول في كتاب من كتبه؟" (١٦٢).

٣٠- الجنة والنار تجذب أهلها

قال البغدادي: "ومن فضائح الجاحظ قوله: بأن الله لا يدخل النار أحداً، وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها، ثم تمسكهم في نفسها على الخلود، ويلزمه على هذا القول أن يقول في الجنة: إنها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها، وأن الله لا يدخل أحداً الجنة، فإن قال بذلك قطع الرغبة إلى الله في الثواب وأبطل فائدة الدعاء، وإن قال إن الله تعالى هو الذي يدخل أهل الجنة الجنة، لزمه القول بأنه يدخل النار أهلها" (١٦٣).

وقد روى الخياط كلام ابن الراوندي بقوله: "وقد زعم الجاحظ مع ما حكيت عنه من أحاله فناء الأجسام وعدمها، أن الله لا يخلد كافراً في النار ولا يدخله فيها، وأن النار تدخل الكافر نفسها وتخلده فيها...".

ثم علق الخياط بقوله: "وهذا كذب وزور" وهذه كتب الجاحظ في أفعال الطبائع فانظر فيها" (١٦٤).

تاسعاً: أبو موسى المردار

٣١- موافقه من سيدنا عثمان رضي الله عنه:

قال البغدادي: "وزعم المعروف منهم بالمردار: أن عثمان فسق، وأن قاتليه فسقوا أيضاً؛ لأن فسق عثمان لم يوجب قتله" (١٦٥).

(١٦٢) الانتصار ص ٥٩.

(١٦٣) الفرق ص ١٠٦ ونقل هذا الكلام في أصول الدين أيضاً ص ٢٣٩ ولكنه لم ينكر الإلزام.

(١٦٤) الانتصار ص ١٠٤، ١٠٥.

(١٦٥) أصول الدين ص ٢٨٨.

وَقَالَ الْخِياطُ يروي عن اِبنِ اِراوندي: "ثم قال: وأما أبو موسى، وجعفر بن مبشر فإنهما كانا يفسقان عثمان ويبرآن منه، ثم عَقِبَ قائلًا: يقال له: هذا كذب منك عليهما، وقولهما المعروف: الوقوف في عثمان وخاذليه، والبراءة من قاتليه، والشهادة عليهم بالنار" (١٦٦). وهذا تصريح منه بأن ذلك القول من افتراءات ابن الراوندي على المعتزلة، فلا يصح نسبته إليهم.

٣٢- هل يصح وصفه تعالى بالقدره على الظلم

قال البغدادي عندما تحدث عن المردار "وكان يزعم أيضا: أن الله قادر على أن يظلم ويكذب، ولو فعل مقدورة من الظلم والكذب، لكان إلهًا ظالمًا كاذبًا" (١٦٧)، وبروي لنا مناظرة أخرى جرت بين سبعة من زعماء المعتزلة في قدرته تعالى على الظلم والكذب، وأنهم افترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم، ثم قال في آخرها: "افترق القوم يومئذ عن انقطاع كل واحد منهم، ولما انتهت نوبة الاعتزال إلى الجبائي وابنه أمسكا عن الجواب في هذه المسألة...".

فقالا: من قال لنا: أيصح وقوع ما يقدر الله عليه من الظلم والكذب؟ قلنا: يصح ذلك.. فإن قال: أفيجوز وقوعه منه؟ قلنا: لا يجوز وقوعه منه لقبحه وغناه عنه.. فإن قال .. لو وقع منه... هل كان يدل على جهله وحاجته؟ قلنا: محال ذلك، لأننا قد علمناه عالمًا غنيًا فإن قال: فلو وقع منه..... هل يجوز أن يقال: إن ذلك لا يدل على جهله وحاجته؟

قلنا: لا يوصف بذلك، لأننا عرفنا دلالة الظلم على جهل فاعله أو حاجته. فإن قال: فكأنكم لا تجيبون عن سؤال من سألكم عن دلالة وقوع الظلم والكذب ممن وقع منه على جهل وحاجة بإثبات ولا نفي؟ قلنا: كذلك نقول.

(١٦٦) الانتصار ص ١٠٩.

(١٦٧) الفرق ص ١٠٠.

فهؤلاء زعماء قدرية عصرنا قد أقروا بعجزهم، وعجز أسلافهم عن الجواب في هذه المسألة، ولو وقفوا للصواب فيها لرجعوا إلى قول أصحابنا: بأن الله قادر على كل مقدور، وأن كل مقدور منه لو وقع منه لم يكن ظلماً منه، ولو أذالوا الكذب عليه كما أحاله أصحابنا، لتخلصوا من الإلزام الذي ترجه عليهم في هذه المسألة..." (١٦٨).

وقال الخياط عن الراوندي: ثم قال: "فأما أبو موسى المردار فإنه ... زعم أن الله يقدر على ظلم العباد، وأنه لو ظلمهم لكان إلهاً ظالماً هذا مع توبته من الخوض في اللطيف من الكلام كراهية المآثم.

ثم عقب الخياط عليه بقوله: "قول أبي موسى هو الحق، إذ وصف الله تعالى بالقدرة على العدل وعلى خلافه، وعلى الصدق وعلى خلافه، لأن هذه هي حقيقة الفاعل المختار: أن يكون إذا قدر على فعل شيء قدر على ضده وتركه، وكان إذا قيل له: فلو فعل ما يقدر عليه من الظلم كيف تكون صفته؟ فكان يقول: هذا فيما بيننا يقبح أن يذكر به الرجل الصالح منا، فالله تعالى أولى بتنزيهه عن ذلك. وهو أنه يقبح أن يقال: لو سرق حسن البصري لكان فاسقاً، ولو زنى ابن سيرين لكان رجل سوء، وإن كانت الحقيقة كذلك، ولكن ليس هذا من أخلاق المسلمين أن يقولوه في صاحبهم، فالله تعالى أولى بالذكر الجميل جل ثناؤه وتبارك أسماؤه" (١٦٩).

وبمقارنة ما ذكر نارك مدى التطابق بين ما ذكره البغدادي وما تقوله ابن الراوندي على المردار، بينما رأي المردار فيما ذكره الخياط، وهو قريب مما نسبته البغدادي لأصحابنا، من أن الله تعالى قادر على كل شيء إجمالاً، ولا يجوز التفصيل، بل الأدب يقتضي تركه، لأنه لا يحسن فيما بيننا إطلاقه على الرجل الصالح، فالله تعالى أولى بالتنزيه والتقديس.

(١٦٨) الفرق ص ١١٩ : ١٢١.

(١٦٩) الانتصار ص ٨٨.

وقد سبق المردار بإمساكه عن هذا التفصيل من ذكرهم البغدادي من متأخري المعتزلة كالجبائي وابنه.

٣٣- قوله في التولد

قال البغدادي: "وحكى أبو زفر عن المردار: أنه أجاز وقوع فعل واحد من فاعلين مخلوقين على سبيل التولد..." (١٧٠).

وقال الخياط: "ثم ذكر - ابن الراوندي - عن أبي زفر: أنه أخبره عن أبي موسى: أنه كان يجيز وقوع فعل من فاعلين على التولد...، ثم عقب الخياط عليه بقوله: "وهذا كذب وزور - ويله!! أما استحيا من هذه الحكاية؟!". أما علم أن هذا الكتاب سيقروه الناس، ويقفون على هذا الكذب..." (١٧١). وهذا لوضوحه لا يحتاج إلى تعليق.

٣٤- رؤيته تعالى:

قال البغدادي: "وزعم المردار أيضاً أن من أجاز رؤية الله تعالى بالأبصار بلا كيف فهو كافر، والشاك في كفره كافر، وكذلك الشاك في الشاك لا إلى نهاية...." (١٧٢).

ويروي الخياط عن الراوندي قوله عن المردار بأنه "كان يزعم أن من ذهب إلى أن الله يرى بالأبصار بلا كيف فكافر بالله، وكذلك الشاك في كفره. والشاك في الشاك لا إلى غاية" ثم عقب الخياط بقوله: "إن أبا موسى كان يزعم أن من قال: إن الله يرى بالأبصار، على أي وجه قاله فمشبهه الله بخلقه، والمشبّه عنده كافر بالله..." (١٧٣).

(١٧٠) الفرق ص ١٠٠.

(١٧١) الانتصار ص ٨٨.

(١٧٢) الفرق ص ١٠٠.

(١٧٣) الانتصار ص ٨٩.

وهنا نجد الخياط يحاول الدفاع عن المردار، فيؤكد كلام ابن الراوندي،
ويجيب عن شق ويترك الثاني: وهو حكم الشاك في كفره فلم يتعرض له.
٣٥- وصيته عند موته:

قال البغدادي: "وقد حكى المعتزلة عن المردار: أنه لما حضرته الوفاة
أوصى أن يتصدق بماله ولا يدفع شيء منه لورثته، وقد اعتذر أبو الحسين
الخياط عن ذلك بأن قال: كان في ماله شبهة، وكان للمساكين فيه حق. وقد
وصفه في هذا الاعتذار بأنه كان غاصباً وخائناً" (١٧٤).

وقد قال الخياط عن الراوندي قوله: "وله قصة مشهورة عند أصحابه،
وهو أنه لما حضرته الوفاة، أوصى ألا يورث ورثته من تركته، وأن يفرق ما
خلف على المساكين. (قال) - أي الراوندي - فقل له: ولم ذلك؟ فذكر أن ماله
لم يكن له، وأنه كان للفقراء فخانهم إياه، ولم يزل ينتفع به طول حياته (ثم قال)
هذا وهو في المعتزلة كالراهب في النصارى".

ثم عقب الخياط على ذلك بقوله: "اعلم أكرمك الله أن أبا موسى رحمه
الله لما حضرته الوفاة، ذكر ما كان في يديه من شبهة لا يدري ما حكمها،
فأخرجه قبل موته إلى المساكين تحوباً وإشفاقاً، وهذه من فضائله ومحاسنه،
وهكذا سبيل أهل الإشفاق والوجل والخوف لله... وليس يعجز أحد عن شتم
الناس والكذب عليهم" (١٧٥).

ونلاحظ هنا أن البغدادي صرح في كلامه باعتذار الخياط عن المردار
وهذا يدل على رؤيته لكتاب الانتصار، ونقله عنه، ولكنه عندما نقل نص
الاعتذاره قال: (كان في ماله شبهة)، (وكان للمساكين فيه حق).
والشق الأول: ذكره الخياط بقوله: (ذكر ما كان في يديه من شبهة لا
يدري ما حكمها فأخرجه قبل موته). والفرق واضح بين العبارتين:

(١٧٤) الفرقة ص ١٠٠.

(١٧٥) الانتصار ص ٩٠.

- فعبارة البغدادي تدل على استغراق الشبهة كل مال المردار.
- أما عبارة الخياط فتدل أن الشبهة إنما كانت في بعض ماله، ولم تستغرقه كله، لأن من للتبعيض وقد أخرجه قبل موته.

وأما الشق الثاني الذي قاله البغدادي: (وكان للمساكين فيه حق) فلم يذكره الخياط، ولا ندري من أين جاء به البغدادي؟! اللهم إلا ما ذكره ابن الراوندي بقوله: (ف قيل له: ولم ذلك؟ فذكر أن ماله لم يكن له، وأنه كان للفقراء فخانهم) فهذا كلام ابن الراوندي، لا من كلام الخياط كما زعم البغدادي، بل كان الخياط دقيقاً للغاية عندما صدر هذا التعليل من الراوندي بكلمة (قال) التي تشير إلى النقول والكذب على المردار.

عاشراً: أبو علي الاسواري

٣٦- قدرته تعالى:

قال البغدادي عندما تحدث عن الأسوارية: "وهم أتباع علي الأسواري، وكان من إتباع أبي الهذيل ثم انتقل إلى مذهب النظام وزاد عليه بأن قال: إن ما علم الله أن لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى، وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله تعالى متناهية، ومن كانت قدرته متناهية كانت ذاته متناهية، والقول به كفر من قائله"^(١٧٦). وهذا كل ما ذكره البغدادي عن هذه الفرقة وعن زعيمها.

ونجد الخياط يروي عن ابن الراوندي فيقول: "ثم قال الماجن: أما الأسواري فإنه زعم: أن الله [إذا] علم أنه يكون شيئاً أو أخبر أنه يكونه لم يجز في قدرته أن لا يفعله..".

ثم عقب الخياط بقوله: "وهذا خطأ عن علي الأسواري وكذب عليه، وقوله المعروف .. هو أنك إذا قرنت القول بأن الله قد أخبر أن الله يكون شيئاً

(١٧٦) للفرق ص ٩١.

مع القول بأنه يقدر أن لا يكونه. أحال القول بذلك فأما إذا أفردت أحد القولين فغير مستحيل^(١٧٧).

حادي عشر: جعفر بن مبشر الجعفران

٣٧- من الفساق من هو شر

عندما تحدث البغدادي عن الجعفرية كأحد فرق المعتزلة نسبها إلى الجعفرين معاً فقال: "الجعفرية... أتباع جعفرين: أحدهما: جعفر بن حرب. والآخر جعفر بن مبشر أما جعفر بن مبشر فإنه زعمك أن من فساق هذه الأمة من هو شر من والنصارى والمجوس والزنادقة، هذا مع قوله بأن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر، فجعل الموحد الذي ليس بكافر شراً من الثنوي الكافر"^(١٧٨).

ويروى الخياط ما ذكره الراوندي بقوله: "وكان القيصبي [أي جعفر] وهو المقدم على البغداديين .. يزعم أن في فساق أهل القبلة من هو شر من اليهود، والنصارى، والمجوس، والزنادقة، والدهرية. وهذا القول رد للإجماع". ثم عقب الخياط الخياط بقوله: "وهذا كذب على أبي محمد جعفر بن مبشر رحمه الله، يعرف ذلك جميع من عرف جعفر بن مبشر من أهل الكلام"^(١٧٩).

ونلاحظ هنا ما أضافه البغدادي من إلزام لجعفر مستنده استصحاب الأصل المعروف عند المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين، وما أضافه الراوندي من تعقيب مفاده خرق الإجماع، وواضح مدى التشابه بين النصين.

(١٧٧) الانتصار ص ٥٨ بتصرف.

(١٧٨) للفرق ص ١٠١.

(١٧٩) الانتصار ص ٩٨.

٣٨- إجماع الصحابة على حد الخمر:

قال البغدادي: "وزعم أيضاً أن إجماع الصحابة على ضرب شارب الخمر الحد، وقع خطأ، لأنهم أجمعوا عليه برأيهم، فشارك ببدعته هذه نجدات الخوارج في إنكارها حد الخمر" (١٨٠).

ونجد الخياط يروى عن الراوندي قوله: "وكان يزعم أن اجتماع الصحابة والتابعين على ضرب شارب الخمر خطأ، لأنهم اجتمعوا عليه برأيهم.

وعلق الخياط على ذلك بقوله: "وهذا أيضاً كذب على جعفر، لا يعرف من قوله، وهذه كتبه مشهورة معروفة وأصحابه أحياء، فهل وجد في كتاب من كتبه، أو حكى أحد ممن خالف جعفرأ أو وافقه هذه الحكاية التي حكاها هذا الماجن عنه" (١٨١).

٣٩- السارق فاسق مُخَد في النار

قال البغدادي: "وزعم مبشر أيضاً أن من سرق حبة أو ما دونها فهو فاسق مخد في النار" (١٨٢).

وقد نقل الخياط ذلك عن الراوندي فقال: "وزعم أن من سرق حبة ذاكرأ لتحريمها، منسلخ من الإيمان والإسلام ليس بمؤمن ولا مسلم، خالد في النار طول الأبد مع الكفار لا ينفعه ما تقدم من عمله وإن كان كأعمال الصحابة".

وعقب الخياط على ذلك قائلاً: "وهذا أيضاً كذب على جعفر، وذلك أن قول جعفر: (إن كل عمد كبير) ففاس عليه هذا الجاهل وحكى عنه ما ليس من قوله...." (١٨٣).

(١٨٠) للفرق ص ١٠١.

(١٨١) الانتصار ص ٩٨.

(١٨٢) للفرق ص ١٠١.

(١٨٣) الانتصار ص ٩٩.

ولعل البغدادي اختصر هنا النص الذي أفاده من الراوندي لأن كلام الثاني أتم.

٤٠- حكم من وطئ امرأة بنية نكاحها

قال البغدادي عن جعفر: "وزعم أيضاً أن رجلاً لو بعث إلى امرأة يخطبها ليتزوجها، وجاءته المرأة، فوثب عليها فوطئها من غير عقد، فإنه لاحد عليها، لأنها جائته على سبيل النكاح، وأوجب الحد على الرجل لأنه قصد الزنا، ولم يعلم هذا الجاهل أن المطاوعة للزاني زانية إذا لم تكن مكرهة....." (١٨٤)

وقال الخياط يروي عن الراوندي: "ثم حكى عن جعفر بن مبشر شيئاً يعلم كذبه عليه ضرورة: زعم أنه كان يقول: إن رجلاً لو وجه إلى امرأة ليتزوجها فجاءته فوثب عليها من غير عقد نكاح ولا ولي ولا شهود لكان نكاحه إياها طلقاً، إذ كانت نيته أنه أحضرها ليتزوجها".

ثم عقب الخياط بقوله: "لسنا نعجب بعد هذا من شيء نقوله. الويل !! أما علمت أن كتاب (السنن والأحكام) في أيدي الناس، وفيه باب النكاح، وقد وصف قوله فيه فكيف استجرت الكذب على رجل هذه حاله، وقوله قد شهر وعرف" (١٨٥).

هذا مما ذكره البغدادي عن جعفر بن مبشر وكان له نظائر من كتاب الانتصار.

أما جعفر بن حرب فلم يذكر عنه غير قولين مكتفياً بالإشارة إلى كتابه المسمى (بالحرب على ابن حرب) نقض فيه علي ابن حرب أصوله وفصوله (١٨٦).

(١٨٤) الفرق ص ١٠١.

(١٨٥) الانتصار ص ١٠٢، ١٠٣.

(١٨٦) انظر الفرق ص ١٠٢.

ثاني عشر: أبو جعفر الإسكافي

٤١- هل يوصف الله تعالى بالقدرة على الظلم؟

عندما تحدث البغدادي عن الإسكافية ذكر أنهم "أتباع محمد بن عبد الله الإسكافي..وزعم أن الله تعالى يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين، ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء، فخرج عن قول النظام بأن الله لا يقدر على الظلم والكذب، وعن قول من قال إنه يقدر على الظلم والكذب، ولكنه لا يفعلهما لعلمه بقبحهما وغناه عنهما"^(١٨٧).

ويروي الخياط قول الراوندي بقوله: "ثم إن الماجن ذكر أبا جعفر الإسكافي - رحمه الله - فقال: كان يزعم أن الله ليس بمستحق للوصف بالقدرة على ظلم العقلاء، ولكن يستحق الوصف بالقدرة على ظلم المجانين والأطفال". ثم عقب الخياط على ذلك بقوله: "وهذا كذب على أبي جعفر، وقوله في هذا الباب: أنه كان يزعم أن الأجسام تدل بما فيها من العقول والنعم التي أنعم الله بها عليهم على أنه ليس بظالم لها، (والعقول تدل بأنفسها على أن الله ليس بظالم) قال: فليس يجوز أن يجمع وقوع الظلم منه مع ما دل لنفسه على أن الظلم ليس يقع منه.

ف قيل له: فلو وقع منه الظلم كيف كانت تكون القصة؟

قال: كان يقع والأجسام معراة من العقول الدالة بعينها على أنه لا يظلم. هذا قول أبي جعفر"^(١٨٨). وكان الأولى بالجميع الإمساك عن طرح مثل هذا السؤال أو الجواب عنه. هذا كل ما ذكره من أقوال الإسكافي ووجدنا له نظائر.

^(١٨٧) الفرق ص ١٠٢.

^(١٨٨) الانتصار ص ١٠٣، ١٠٤.

تعقيب عام

وبهذا ينتهي البحث الاستقصائي للمسائل التي نقلها البغدادي عن ابن الراوندي، ونشير إلى أن البغدادي ذكر بعد ذلك (الشحامية).

ولم يذكر للشحام غير مسألة واحدة وهي قوله بجواز مقدور واحد لقادرين، وذكر الفرق بين قوله هذا وقول الأشاعرة المشبه له: بأنه يقول: على التعائب، بخلاف الأشاعرة فيقولون: بالإيجاد لأحدهما، والكسب للآخر، وهذا من الفرق.

ثم ذكر بعد ذلك (الخياطية) ونسبهم لأبي الحسين الخياط صاحب كتاب (الانتصار) الذي اعتمدنا عليه في تحقيق ما نقله البغدادي عن ابن الراوندي من المسائل التي أوردناها هنا، ولم يذكر بعدها غير (الكعبية، والجبائية والبهشية).

ولا شك أن بحثنا عن المسائل المشتركة بين البغدادي وابن الراوندي سيقف عن هذا الحد (أعني الخياطية) إذ ليس من الممكن عقلاً أن يكذب الراوندي على الخياط وهو صاحب الرد عليه والذب عن رجال المعتزلة، حتى ولو لم يكن الخياط متأخراً عنه زمنياً، وأقل ما يقال إنه كان معاصراً له، وهذا يمنع الكذب عليه.

ولعلك تلاحظ معنا: أن البغدادي نفسه كان مقلداً في تعداد الفصائح، المنسوبة للمعتزلة كلما مضى به الزمن، واقترب من الخياطية، فقد كان مقلداً في عد فصائح الإسكافية، والثمامية، والجاحظية، والشجامية، ولم يذكر للخياطية والشحامية غير فضيحة واحدة فقط لكل منهما.

وتفسير ذلك: أنه في ذلك متابع لابن الراوندي فكلما اقترب من الخياط قل كذب ابن الراوندي على أعلام المعتزلة: لمعاصرتهم وقرب عهدهم، واشتهار أقوالهم ومؤلفاتهم، بخلاف من تقادم منهم، فكذلك كان البغدادي؛ لما كان ينقل عن ابن الراوندي - غالباً - أكاذيبه على المعتزلة.

وأنبه أخير على: أن هذه المقارنة بهذه الكيفية هي غاية ما يمكن الباحث في مثل ذلك، والسبب هو فقداننا لهذا التراث المتعلق بمادة البحث. وعليه فيصعب تحقيق هذه النقول والمرويات بأكثر من ذلك أي بطريقة تامة بحيث نصل إلى حقيقة تامة جازمة يحصل منها الاطمئنان والعلم الجازم المطابق للواقع - بل كل ما نتطلع إليه هو غلبة الظن وكفى.

ومما يزيد الأمر صعوبة أيضاً أننا لو نظرنا إلى ما بين الجانبين - أي كلام الراوندي وتعقيب الخياط - وجدناهما على طرفي نقيض، فهذا يقول، والآخر يكتبه غالباً.

وأيضاً فإننا نجد ابن الراوندي - متحماً ناقماً على المعتزلة بعد طرده ونفيه، والخياط في رده يدفع ويذب عن فرقته التي ينتمي إليها ويدين بالولاء لها، حتى تجرد للدفاع عنها دون عشرات ممن ينتمون إليها، وهذا يدل على حبه الشديد لها، وقلما يتجرد الحكم من العاطفة مما يجعلنا نتحفظ في قبول كلام كل منهما أو رده بطريقة جازمة، ونقل الثقة في استقاء الآراء منهما، ورغم ذلك لا يمكننا طرح أحدهما، بل لابد من المزاوجة بينهما، ليتعادل الحكم باقترانهما، وتحصل صورة شبه صادقة للقارئ تبعاً لمعطياته وإمكاناته.

فالحاصل هنا هو: الاكتفاء بالظن الغالب، وذلك لأننا نتحدث عن مرحلة نتقصنا فيها مصادر البحث فالباحث، فيها كمقتحم كهف مظلم تعود كل الوسائل والحيل لإضاءته، فهو لا يملك مؤلفات تامة أو حقائق تاريخية ثابتة، **بل كل ما لديه بعد فقد المؤلفات الأصلية: من (الفضيلة والفضيحة)، بل وفقد مؤلفات أعلام المعتزلة الذين ذكرهم ابن الراوندي، ولذا فكل ما يجده الباحث** عدة أقوال ناقصة، وروايات مبتورة، مما يجعلنا عاجزين عن التحقق من صدقه أو كذبه عليهم، وليت الأمر بعد ذلك كان واضحاً، بل وجدناه ملبداً بغيوم يكسوها الضباب، لأن هذه المرويات وصلتنا في ظل صراع شديد بين

الطرفين، فكل منهم يروى عن خصمة أو مخالفة، فما الذي يؤمننا من الشك في صدق الرواية، والحال على هذه الخصومة والتحامل.
وفي ظل ذلك: أجدني لا أملك أن أضيئ هذا الكهف المظلم أو أقشع هذا الضباب أو أزيل الغيوم، بل حسبي أن أسلط عليه شعاعاً من ضوء خافت، لأصف ما شاهدته فيه لمن لم يقتحمه، ليقف على أبرز معالمه، وقد يبصر الناظر ما لم أراه، ويستخلص ما عجزت عنه.

والحمد لله الذي بنعمته وفضله تمام كل مفتتح

الخاتمة

بعد هذه المعاشية لهذا الموضوع والتي لم تكن قصيرة، يمكنني أن استخلص بعض النتائج من أهمها ما يلي:

١- إطلاع الإمام البغدادي على كتب ابن الراوندي كما أشار إلى ذلك في الفرق بين الفرق، وأصول الدين، ونقله عنها، على اختلاف فتراتهما الزمنية سواء قبل نفي المعتزلة له أو بعده.

٢- إطلاع البغدادي على كتاب الانتصار لأبي الحسين الخياط المعتزلي، ونقله عنه، كما أشار إلى ذلك صريحاً في نحو خمسة مواضع من (الفرق بين الفرق).

٣- تعصب البغدادي على المعتزلة وتحامله الشديد على أعلامها حتى وصل الحدة إلى شتمهم وسبهم بعبارات قبيحة، ورميهم بالكفر.

٤- أثر البغدادي فمن جاء بعده من مؤرخي الفرق الإسلامية فنقلوا عنه الكثير مما أورده في كتاب (الفرق بين الفرق) عن المعتزلة وغيرهم - وقد أظهر هذا البحث مدى مصداقية ما نسبته للمعتزلة وحدود الثقة به - وقد كانوا متفاوتين في مدى تأثرهم به، وقد رتبتهم حسب شدة التأثر وكثرة النقل عنه. فأكثرهم أبو الظفر في (التبصير) وأقلهم الفخر الرازي.

٥- نقل البغدادي كثيراً من أقوال ابن الراوندي في كتاب (فضيحة المعتزلة) والتي أوردها الخياط في (الانتصار) للرد عليها وعقب عليها برميها بالكذب على المعتزلة، ورغم ذلك وجدنا البغدادي يتخذ هذه النقول مادته في حديثه عن المعتزلة في كتابه (الفرق بين الفرق).

وقد جمعنا - بعون الله - نحو أربعين نصاً مما نقله البغدادي ونسبته للمعتزلة عن الراوندي مقرونة بتعقيب الخياط عليها بتكذيب ابن الراوندي.

وقد ألف البغدادي كتاباً سماه (فضائح القدريّة) أو (فضيحة المعتزلة) بنفس عنوان كتاب ابن الراوندي، وكلاهما مفقود لم يصل إلينا.

٦- تتأثرت المادة التي استقاها هذا البحث في ظل عصبية شديدة وتحامل ظاهر، وتقلب نصوصها في مصادرها بين مؤلف ناظم حاكم تارة، ومؤلف محب مدافع أخرى، وبين مؤلف متعصب متحامل، مما أدى إلى عدم الثقة التامة بها في ظل فقد المصادر الأصلية.

ولذلك اكتفى الباحث بغلبة الظن، والرضي بحقائق ضبابية، أما الحقيقة المطلقة واليقين التام فهو غير متوفر في بعض النتائج.

٧- لم يتمكن البحث من تعيين المصدر الذي استقى منه البغدادي أقوال ابن الراوندي، وظل متحيراً في الجواب على سؤال مفاده.

هل نقل البغدادي كلام ابن الراوندي من كتاب (فضيحة المعتزلة) أم استله من كتاب (الانتصار) للخياط؟؟

فلم يتمكن من التسليم المطلق بالنقل المباشر عن (الفضيحة) لعدم كفاية الأدلة عليه، ولما تبين له من مقارنة نصوص البغدادي بالانتصار. وإن كان هو الأقرب والأيسر.

وكذلك لم يستطع الجزم بالفرض الذي طرحه (من أنه استله من الانتصار) رغم استناده إلى بعض الشواهد التي تقويه أو تجعله مقبولاً، وإن كان أكثر ميلاً إليه وقبولاً له.

وبالجملة: فلم أتمكن من الجزم بأحد القولين على وجه اليقين، بل تركتهما في بقعة الإمكان، والتجوير العقلي، فكل شواهد.

وهذا ما تيسر لي ولا شك أن القارئ قد يستخلص ما لم أتمكن منه.

التوصيات

١- أقل ما يوصى به البحث إذ لم يجرؤ على التوصية بإهدار ما ذكره البغدادي عن المعتزلة ونسبه إليهم في كتاب (الفرق بين الفرق)، حرصاً منه على احترام تراثه وعدم الإساءة إليه بأي وجه، وعدم إهدار أي كلمة منه، لأننا لا نعدم منها فائدة ما.

أقل ما يقال هو عدم الثقة في أقوال البغدادي عن المعتزلة، والتحفظ في قبولها، وعدم التسليم بصحتها. هذا بوجه عام.

٢- أما النصوص التي ذكرناها هنا مقرونة بكلام ابن الراوندي وتكذيب الخياط له، فيمكن أن نقول: إن في نسبه هذه الأقوال إلى المعتزلة نوعاً من التجني عليهم، وعدم إنصافهم، وفيها طمس للحقائق التاريخية والعلمية أيضاً.

لذا يوصى الباحث عند الاضطرار إلى نقل هذه النصوص: أنه يتعين ويجب على من نقلها أن يردفها بتعقيب الخياط عليها، فيقول مثلاً: قال البغدادي كذا... وقد نقله الخياط في (الانتصار) عن ابن الراوندي في كتابه (الفضيحة). وعقب عليه بالتكذيب فقال مثلاً: "وهذا كذب على المعتزلة" ولا بد من فعل ذلك، ولا محيص عنه، وإلا كان مدلساً في الحقائق التاريخية، وبخاصة بعد إعداد هذا البحث الذي جمع هذه النصوص وقارنها وبين مواضعها، فلا عذر بعد ذلك وعفى الله عما سلف.

والحمد لله رب العالمين

ملحق في التعريف بأهم الأعلام الوارد ذكرهم في البحث

الإسكافي (أبو جعفر)

وهو: ابن جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي ثم الإسكافي المتكلم كان أعجوبة في الذكاء وسعة المعرفة مع التدين والتصوف والنزاهة، وكان يحب الفضيلة فيأمر أبواه بلزوم المعيشة، وكان في صباه خياطاً، وهو تلميذ لجعفر بن حرب وكان جعفر يعطي أمه في الشهر عشرين درهماً بدلاً من كسبه، فبرع في الكلام، وكان المعتصم معجباً به، فأدناه، وأجزل عطاءه، وكان إذا ناظر أصغى إليه، وسكت الحاضرون، وله سبعون كتاباً في الكلام، وله نقص كتاب حسين النجار، والرد علي من أنكر خلق القرآن، وتفضيل علي، وغيره، مات (٢٤٠هـ). (١٨٩)

الأسواري

قال عنه القاضي في الطبقات: أبو علي الأسواري كان من أصحاب أبي الهذيل وأعلمهم فانتقل إلى النظام. وروى أنه صعد بغداد لفاقة لحقته، فقال له النظام: ما جاء بك؟ فقال: لحاجة. فأعطاه ألف دينار، وقال له: ارجع من ساعتك. ف قيل: إنه خاف أن يراه الناس فيفضل عليه (١٩٠).

ابن حزم الأندلسي

هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن شيبان الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب الوزير، كان جده خلف بن معدان أول من دخل الأندلس

(١٨٩) سير أعلام النبلاء ٥٥٠/١٠ (١٨٢) وطبقات المعتزلة ص ٨٣، والمنية والأمل للمرتضى تحقيق محمد جواد مشكور مؤسسة للكتاب - دمشق ١٩٨٨م، ص ١٦٩، ونظر أبو جعفر الإسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية د/ محمد صالح محمد السيد ص ١٩ : ٣٦ دلر/ قباء للطباعة والنشر بالقاهرة ط (١) ١٩٩٨م.

(١٩٠) طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار تحقيق د/ النشار، ص ٧٧، ٧٨، والمنية والأمل ص ١٦٥.

في صحبة ملك الأندلس عن الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف (بالداخل)، ولد ابن حزم بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ونشأ في تنعيم ورفادية، ورزق ذكاء مفرطاً، وكان والده من كبراء قرطبة، وكان وزيراً في دولة العامرية، وتبحر في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء من الفلسفة، وقيل: أداه اجتهاده إلى نفي القياس كله، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، والقول البراءة الأصلية، واستصحاب الحال. له مصنفات كثيرة منها: الفصل، والخصال، والمحلى، وحجة الوداع، والإحكام، مراتب الإجماع، وطوق الحمامة، توفي سنة ٤٥٦هـ (١٩١).

الشهرستاني

هو: أبو الفتح عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني شيخ أهل الكلام والحكمة برع في الفقه والأصول، وكان قوي الفهم كثير الحفظ مليح الوعظ سمع بنيسابور، قيل: هو من أهل شهرستانه، وكان إماماً أصولياً عارفاً بالأدب والعلوم المهجورة، وقيل: متهم بالإلحاد وغال في التشيع له تصانيف كثيرة منها: الملل والنحل، ونهاية الأقدام مات ٥٤٦هـ. (١٩٢)

أبو إسحاق الإسفرايني

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النفهية الأصولي المتكلم المقدم في هذه العلوم أبو إسحاق الإسفرايني الزاهد، انصرف من العراق بعد المقام بها، وقد أقر له أهل العلم بها بالتقديم والفضل إلى نيسابور، قيل عنه: إنه أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء، كان يتمنى الموت بنيسابور حتى يصلي عليه جمعها، وتوفي (٤١٨هـ).

(١٩١) سير النبلاء ١٨٤/١٨ (٩٩) ونظر معجم الأبناء ٢٣٥/١٢، تاريخ الحكماء ٢٣٢، والزهرة ١/قسم (١) ص ٣٠٨، وتذكرة الحفاظ ١٤٦/٣، وكشف الظنون ص ٢١، ١١٨، شذرات الذهب ٢٩٩/٣، وفيات الأعيان ٣٢٥/٣.

(١٩٢) سير النبلاء ٢٨٦/٢٠ (١٩٤)، وطبقات السبكي ١٢٨/٦، وفيات الأعيان ٢٧٣/٤، الوافي بالوفيات ٢٧٨/٣، وشذرات الذهب ١٤٩/٤، مفتاح السعادة ٣٢٣/١.

وكان معاصراً لابن نورك والباقلاني، وقال عنهم صاحب بن عباد:
الباقلاني بحر مغرق، وابن فورك ظل مطرق، والإسفرائيني نار تحرق^(١٩٣).

أبو المظفر الاسفرايني

هو أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني الطوسي الشافعي صاحب التفسير الكبير، من أئمة الشعارة ذكره ابن عساكر في عداد الطبقة الرابعة من الأشاعرة تلميذ البغدادي وصهره، وارتبط بنظام الملك بطوس، وتوفي بطوس ٤٧١ هـ^(١٩٤).

أبو الهذيل العلاف

هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري العلاف، ولقب بالعلاف لأن داره كانت في العلافين بالبصرة، وهو رأس الاعتزال، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء، وقيل: إن له ستين كتاباً في الرد على المخالفين. وله في دقيق الكلام وجليله، وناظر هشام ابن الحكم قطعة، وقال المبرد: ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ، وكان أبو الهذيل أحسن مناظر، شهدته في مجلس وقد استشهد في جملة كلامه بثلاث مائة بيت من الشعر، وفي مجلس آخر بسبع مائة بيت من الشعر، عمر طويلاً حتى قيل: أنه عاش مائة سنة، وقيل مائة وخمس، قيل مات في أول أيام المتوكل سنة ٢٣٥ هـ، ومضى عليه أحمد بن أبي داود.

وكانت زوجته أخت عمرو بن عبيد، وكانت أخت عمر الثانية زوجة واصل بن عطاء. فكان بين رجال المعتزلة زيادة صهر ونسب^(١٩٥).

^(١٩٣) تبين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٤٣، ٢٤، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

^(١٩٤) سير النبلاء ٤٠١/١٨ (١٩٩) تبين كذب المفتري لابن عساكر ٢٧٦، طبقات السبكي ١١/٥، مقدمة كتاب التبيين لزاهد الكوثري.

^(١٩٥) سير النبلاء ٥٤٢/١٠ (١٧٣)، ١٧٢/١١ (٧٥)، طبقات المعتزلة ص ٤٧، ٥٤، المنية والأمل ص ١٤٨: ١٥٢ وفيه أنه مات وهو ابن مائة وخمسين سنة.

بشر بن المعتمر

هو أبو سهل بشر بن المعتمر الكوفي ثم البغدادي الهلالي شيخ المعتزلة، وهو رئيس معتزلة بغداد، ومؤسسهم، كان إخبارياً شاعراً متكلماً، وله قصيدة (أربعون ألف بيت)؟! رد فيها على جميع المخالفين، قيل للرشد إنه رافضي فحبسه فأنشده شعراً تبرأ فيه من الرافضة فتركه، كان زاهداً عابداً داعياً إلى الله، ومن تلامذته ثمامة بن أشرس (١٩٦).

ثمامة

هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري البصري العلامة المتكلم من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وكان نديماً ظريفاً صاحب ملح، اتصل بالرشد ثم المأمون روى عنه تلميذه الجاحظ. كان واحد دهره في العلم والأدب (١٩٧).

الجاحظ

أبو عثمان هو عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ البصري المعتزلي ذو الفنون صاحب التصانيف، أخذ عن النظام، وثمامة بن أشرس، وكان أحد الأنكباء، وكان ماجناً قليل الدين له نوادر، وكان من بحور العلم، لم يقع في يده كتاب قط إلا استوفى قراءته حتى أنه كان يكتري دكاكين الكتب ويبيت فيها للمطالعة، وكاد واهية في قوة الحفظ، وتصانيفه كثيرة جداً منها: الرد على أصحاب الإلهام، الرد على المشبهة، الرد على النصاري، الرد على اليهود،

(١٩٦) سير النبلاء ٢٠٣/١٠ (٤٦) وطبقات المعتزلة ص ٦٢ والمنية ص ١٥٣.

(١٩٧) سير النبلاء ٢٠٣/١٠ رقم (٤٧) وطبقات المعتزلة ٧٠، المنية والأمل ص ١٥٩، الفرق بين الفرق

ص ١٠٢ الفهرست ٢٠٧، تاريخ بغداد ١٤٥/٧، ميزان الاعتزال ٣٧١/١ لسان الميزان ٨٣/٢،

نوافي بالوفيات ٢٠/١١.

الوعيد، الحجة والنبوة، ذم الزنى وأشياء كثيرة مات سنة ٢٥٠هـ وقيل ٢٥٥هـ في أيام المهدي (١٩٨).

جعفر بن مبشر

هو أبو محمد جعفر بن مبشر الثقفي المتكلم الفقيه البليغ، كان يوصف بزهد وعفة، تبحر في العلوم، وصنف كتاباً في الأشربة، وفي السنن، وفي الاجتهاد، في تنزيه الأنبياء، وكتاب الحجة على أهل البدعة والإجماع وما هو، والرد على المشبهة والرافضة، وكتاب الرد على أهل القياس، والآثار الكبير، وأشياء مفيدة، توفي (٢٣٤هـ) وله أخ معتزلي يقال له حبيش بن مبشر دون جعفر في العلم (١٩٩).

الرازي

هو: الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الرازي كبير الأذكياء والحكماء، ولد بالري سنة ٥٤٤هـ صاحب التفسير الكبير ونو التصانيف الكيرة منها: نهاية العقول، الأربعين في أصول الدين، ومعالم أصول الدين، وأساس التقديس، المطالب العالية، واعتقادات الفرق، وغيرها الكثير. قال عنه الذهبي: وقد بدت منه في تواليفه بلالاً عظيمة وانحرافات، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر مات بهراه يوم عيد الفطر ٦٠٦هـ وله بضع وستون سنة، قال في آخر عمره، ولقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فرأيتها لا تشفي غليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. وقرأ في الإثبات "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" [ط/٥] "إِلَيْهِ يَصْغَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ" [فاطر / ١٠]

(١٩٨) سير النبلاء ٥٢٦/١١ (١٤٩) وطبقات المعتزلة ص ٧٣، المنية والأمل ص ١٦٣.

(١٩٩) سير النبلاء ٥٤٩/ ١٠ (١٨٠)، وطبقات المعتزلة ٧٦، ٧٨١ والمنية والأمل ص ١٦٧، وانظر

لسان الميزان ١٢١/٢، الفهرست لابن النديم ٢٠٨، وتاريخ بغداد ١٦٢/٧، وأعيان الشيعة

وَقَرَأَ فِي النَّفْيِ " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى ١١] فَمَنْ جَرَّبَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي". (٢٠٠)

ضرار بن عمرو

هو الذي تنسب إليه فرقة الضرارية، ويذكر البعض أنه من المعتزلة بل قد يذكر أنه من رؤوسها، وقد صرح القاضي عبد الجبار بأن المعتزلة نفتته عنها بقوله: "ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة" وقال عنه الذهبي: قال المروزي قال أحمد بن حنبل شهدت على ضرار بن عمرو عند سعيد بن عبد الرحمن، فأمر بضرب عنقه، فهرب، قالوا: أخفاه يحيى بن خالد حتى مات، وهذا يدل على موته في زمن الرشيد وله تصانيف تؤذن بذكائه وكثرة إطلاعه. وإن حفصاً الفرد الذي كفره الشافعي في مناظرته من تلامذة ضرار، وقد شهد قوم على ضرار بأنه زنديق (٢٠١).

عمرو بن عبيد

هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري الزاهد العابد القديري كبير المعتزلة وأولهم، وقيل عنه، ما رأيت أزهده منه وانتحل ما انتحل، ودعى إلى القدر فتركوه، وقيل: أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزال فدخل معه عمرو بن عبيد فأعجب به وزوجه أخته، وكان المنصور يعظمه، وقيل: سئلت أخت عمرو بن عبيد وكانت زوجة واصل: أيهما أفضل؟ فقالت بينهما كما بين السماء والأرض، وله كتاب العدل والتوحيد، والرد على القدرية، مات (١٤٣هـ) وقيل (١٤٤هـ) (٢٠٢).

(٢٠٠) سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١ رقم (٢٦١)، وانظر الكامل في التاريخ ١٢/١٢٠، وفيات الأعيان ٢٤٨/٤، طبقات السبكي ٢٣/٥، لنجوم الزاهرة ١٩٧/٦.

(٢٠١) سير النبلاء ٥٤٤/١٠ (١٧٥) وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٠، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان مكتبة رعية بالقاهرة ١٩٩٦م، والمنية والأمل ص ٢٣، ١٠٧.

(٢٠٢) سير النبلاء ١٠٤/٦ (٢٧) وطبقات المعتزلة ص ٤٨ والمنية والأمل ص ١٤٤، وانظر عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية د/ محمد صالح ص ١٦ : ٦٠ مكتبة نهضة الشرق ج القاهرة ١٩٨٥.

الفوطي (هشام بن عمرو)

هو أبو محمد بن عمرو الفوطي المعتزلي الكوفي مولى بني شيبان، كان صاحب نكاه وجدل، أخذ عنه عباد بن سليمان، وكان عظيم القدر عند الخاصة والعامة، وقيل كان إذا دخل على المأمون تحرك حتى يكاد يقوم، وله مسائل انفرد بها^(٢٠٣).

القاضي عبد الجبار المعتزلي

هو: قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمداني الأسد أبادي، لم تحدد كتب التراجم سنة مولده، ولكن معظم من كتبوا عنه اتفقوا على أنه توفي سنة (٤١٥هـ) وأنه عمر طويلاً حتى جاوز التسعين (٩٠) من كبار فقهاء الشافعية عاصر دولة بني بوية في العراق وفارس وخرسان منذ تأسيسها وحتى انهيارها، ويبدو أنه شارك في كثير من أحداث هذه الدولة، فقد استدعاه صاحب بن عباد إلى الري وولاه قاضياً لقضائتها (٣٦٧هـ) وكان هذا الوزير معجباً به فخوراً بوجوده في ديوانه، وكان القاضي معتزاً بنفسه عارفاً لقدرة ومكانته، له مؤلفات كثيرة جمعها د/ عبد الكريم عثمان في مقدمة شرح الأصول الخمسة^(٢٠٤).

المردار

هو أبو موسى عيسى بن صبيح المردار البصري، من كبار المعتزلة، وأرباب التصانيف، أخذ عن بشر بن المعتمر، وتزهد، وتعبد، وتفرّد بمسائل، وبسببه انتشر الاعتزال في بغداد، وكان من أحسن الناس قصصاً، وأفصحهم

^(٢٠٣) سير النبلاء ٥٤٧/١٠ (١٧٧) فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٩، المنية الأمل ص ١٥٩، والفهرست ص ٢١٤.

^(٢٠٤) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي مقدمة د/ عبد الكريم عثمان ص ١٣ : ٢٣، سير أعلام النبلاء ٢٤٤/١٧ رقم (١٥٠) وانظر تاريخ بغداد ١١٢/١١، الأنساب ٢٢٥/١، طبقات السبكي ٩٧/٥، شذرات الذهب ٢٠٢/٣، وطبقات المفسرين للسيوطي ١٦.

منطقاً، وأثبتهم كلاماً، وهو أستاذ الجعفرين، يسمى راهب المعتزلة، ولما حضرته الوفاة شك في فيما بيده، وأخرجه للمساكين تحريراً وإشفافاً مات (٢٢٦هـ) (٢٠٥).

معمر بن عباد

هو: أبو عمر معمر بن عباد البصري، السلمي ولاءً، كان عالماً عادلاً تفرد بمذاهب، قامت عليه معتزلة البصرة ففر إلى بغداد واختفى عند إبراهيم بن السندي، وكان بينه وبين النظام مناظرات ومنازعات، ومن تلامذته: بشر بن المعتمر، وهشام بن عمر، أبو الحسين المدايني، وله في الكلام تصانيف، مات سنة (٢٥١هـ) (٢٠٦).

النظام (إبراهيم بن سيار)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام مولى آل الحارث بن عباد الضبغي البصري المتكلم شيخ المعتزلة، وهو شيخ الجاحظ، تكلم ف القدر، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم والشر، له نظم رائع وتصانيف جمّة منها: الطفرة، الجوهر، الأعراض، وحركات أهل الجنة، الوعيد، النبوة وأشياء كثيرة، ذكر كتبه ابن النديم في الفهرست، مات في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومائتين، ويروى في سبب وفاته روايتان على طرفي نقيض بين صلاح وفسق، وقال الجاحظ: ما رأيت أحداً أعلم بالكلام والفقه من النظام، وقيل مات ٢٣٠ تقريباً (٢٠٧).

(٢٠٥) سير النبلاء ٥٤٨/١٠ (١٧٨) وطبقات المعتزلة ص ٧٦. والمنية والأمل ص ١٦٤.

(٢٠٦) سير النبلاء ٥٤٦/١٠ (١٧٦)، طبقات المعتزلة ص ٦٣، المنية والأمل ص ١٥٥.

(٢٠٧) سير النبلاء ٥٤١/١٠ (١٧٢) وطبقات المعتزلة ص ٦١، ٦٢، الانتصار ص ٧٢، والمنية والأمل

ص ١٦٣، وانظر الفهرست ص ٢٦٠، وإبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية د/ محمد

عبد الهادي أبو ريدة ص ١٠، ١٣ نشر دار النديم بالقاهرة ط (٢) ١٩٨٩م، والكني والألقاب للشيخ

عباس القمي ٣٥٢/٣ : ٣٥٤ مؤسسة للرسالة - بيروت - لبنان ط (٢) ١٤٠٣ - ١٩٨٣، والوفاي

بالوفيات للصفدي، ترجمة رقم (٢٤٤٤) ١٤/٥، ١٥ تحقيق س ديدرينغ نشر دار النشر مرزستايير

بفيسيلدين ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م.

هشام بن الحكم

هو هشام بن الحكم الكوفي الرافضي المشبه له نظر وجدل، ومؤلفات كثيرة وهو أحد المتكلمين البارعين، وجمهور متكلمي الشيعة الرافضة كهشام بن الحكم، وتلميذه أبو علي الصكاك، قال في مناظرة له مع أبي الهذيل: إن ربه طوله سبعة أشبار من شبر نفسه، وهو ممن فتق الكلام في الإمامة، وكان حاذقاً حاضر الجواب، ومن كتبه: الرد على المعتزلة، والتوحيد، وغير ذلك قال عنه ابن امرتضي، هشام بن الحكم الزنديق المفرط في التشبيه والتجسيم، ومجموع قوله ... يدل على أن الرجل لم يكن يرجع إلى دين (٢٠٨).

واصل بن عطاء

هو: أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال البصري مولي بني سخزوم وقيل ولاؤه لبني ضبة، عرف بالغزال لتردده على سوق الغزالين ليصدق على النسوة الفقيرات، كان طويل العنق، وكان من إحدى العجائب كان به لثغة قبيحة في الرء فكان يخلص كلامه منها، ولا يفتن لذلك لاقتداره وسهولة الفاظه، كان يلزم مجلس الحسن ويظنون أن به خرساً لطول صمته، قالت زوجته أخت عمرو بن عبيد: كان إذا جن الليل صف قدميه يصلي، ولوح ودواه بجانبه فإذا مر بأية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم عاد لصلاته، كان رأس الاعتزال ومؤسسه باعتزاله حلقة شيوخه لقوله بالمنزلة بين المنزلتين، له مؤلفات في التوحيد، والمنزلة بين المنزلتين مات (١٣١هـ) (٢٠٩).

(٢٠٨) سير النبلاء ٥٤٣/١٠ (١٧٤) والمنية والأمل، ص ٣٠، ١٩، ٢١، ٨٧ وانظر مروج الذهب

٤٤٣/٥، الفهرست ٢٢٣، وسفينة البحار للقمي ٧١٩/٢، ومعرفة أخبار الرجال للقمي ١٦٥.

(٢٠٩) سير النبلاء ٦٤/٥ رقم (٢١٠) وطبقات المعتزلة ص ٤١ والمنية والأمل ص ١٣٩.

فهرس المراجع

- ١- إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية د/ محمد عبد الهادي أبو ريذة
نشر دار النديم بالقاهرة ط (٢) ١٩٨٩م.
- ٢- أبو الحسن ابن الريوندي حياته وآراؤه د/ إلهام محمد فتحي محمد شاهين
ماجستير بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات - جامعة الأزهر
بالقاهرة رقم (١٠٨٣) ١٩٩٥م.
- ٣- أبو جعفر الإسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية د/ محمد صالح محمد السيد -
نشر دار قباء للطبع والنشر بالقاهرة ط (١) ١٩٩٨م.
- ٤- أبو منصور البغدادي حياته وآراؤه الكلامية د/ منى إبراهيم إسماعيل أبو شادي
ماجستير - بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات - جامعة الأزهر
بالقاهرة رقم (٣١٢) سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)
تحقيق د/ عبد الله محمود شحاته نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة
ط (٢) ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٦- أصول الدين للإمام عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان ط (٣) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م صورة عن طبعة (١) استانبول
سنة ١٩٢٨م.
- ٧- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي
(ت ٦٠٦هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وعصطفى الهواري نشر مكتبة
الكلية الأزهرية بالقاهرة ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٨- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لأبي الحسين عبد الرحيم محمد بن
عثمان الخياط المعتزلي - تحقيق نبيرج مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة - دار
النووة الإسلامية بيروت ط ١٩٨٧م.

- ٩- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة للإمام أبي المظفر الإسفرايني ت ٤٧١هـ تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري نشر مكتبة الأنوار ط (١) ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠م.
- ١٠- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسين الأشعري تأليف أبي القاسم علي بن الحسن من هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.
- ١١- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق شعب الأرناؤطي - نشر مؤسسة الرسالة طبعة (١) ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤م.
- ١٢- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي تحقيق د/ عبد الكريم عثمان نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ط (٣) ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.
- ١٣- شرح المقاصد في علم الكلام للإمام سعد الدين التفتازاني - تحقيق إبراهيم شمس الدين نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط (١) ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م.
- ١٤- شرح المواقف لعرض الدين الإيجي شرح الشريف الجرجاني تحقيق محمد عمر الدمياطي - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط (١) ١٩٩٨م ١٤١٩ هـ.
- ١٥- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ) تحقيق د/ محمد محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلوطي (١) ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧م.
- ١٦- عمرو بن عبيد وآراءه الكلامية د/ محمد صلاح محمد السيد مكتبة نهضة الشرق بجامعة القاهرة (بدون).
- ١٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى ت ٤٢٩هـ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد نشر مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة بدون تاريخ.

١٨- فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي تحقيق د/ علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي نشر دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ١٩٧٢م.

١٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي - تحقيق أحمد شمس الدين نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط (٢) ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

٢٠- فوات الوفيات تأليف محمد شاكر أحمد بن عبد الرحمن الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط (١) ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

٢١- الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي نشر مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان ط (٢) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٢- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني تحقيق صديق جميل العطار - نشر دار الفكر - بيروت - لبنان ط (١) ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.

٢٣- المنية والأمل في شرح الملل والنحل لأحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل بن منصور الحسيني اليماني (ت ٨٤٠ هـ) تحقيق د/ محمد جواد مشكور - نشر مؤسسة الكتاب الثقافية بدمشق ١٩٨٨م.